مغامرات

أرسين لوبين

وراء الستار



القسم الأول

سر الغواصة

ـ كيف اتيح لك أن تعرف ارسين لوبين اول ما عرفته ؟

كثيرا ما طرح على اصدقائي هذا السؤال :

فما يخالج الشك احدا في انني اعرفه حق المعرفة .. اذ أن التفاصيل الدقيقة التي اقدمها عن شخصيته المحيرة ، والوقائع الثابتة التي ابسطها ، والادلة الصحيحة التي ادلي بها ، والتحليل الدقيق الذي اشرح به بعض الوقائع التي غمض سرها على الآخرين فلم يروا سوى مظهرها الخارجي دون ان يستطيعوا ادراك كنهها ، كل ذلك وإن كان لا يدل على رابطة وثيقة بين لوبين وبيني فانه ينم عن صلة من الصداقة والثقة المطردة بيننا .

ولكن كيف تهيأ لي أن اعرفه ؟ ولماذا حباني بثقته الى حد انني اصبحت مترجما لحياته ، راوية لحوادثه؟ بل لماذا وقع اختيار القدر على دون غيري من الناس اجمعين

ان الجواب على هذه الاسئلة عسير .. فان المصادفة وحدها هي التي اوحت بهذا الاختيار ، دون أن يكون راجعا لميزة تميزني عن سائر الناس .. تلك المصادفة هي التي زجت بي في طريقه ، وجعلتني وثيق الصلة بواحدة من أشد مغامراته غموضا وأعظمها غرابة وطرافة .

واخيرا فان المصادفة كذلك هي التي جعلت مني

ممثلا في مسرحية كان هو مدير المسرح فيها والاصبع المحرك لها . . مسرحية غامضة معقدة مليئة بالمفاجآت والفواجع الخارقة ، بحيث يتملكني الذهول وتستبد بي الحيرة عندما اجلس الآن لوصفها .



بدأ الفصل الأول من هذه المسرحية في تلك الليلة الخالدة بين الليالي ، ليلة الثاني والعشرين من شهر يونيو .

وانى لأسارع الى الاعتراف بأن السبب فيما بدا من مسلكي الغريب في تلك الليلة ، انما يرجع الى الحالة النفسية الشاذة التي كنت عليها عندما أويت الى منزلي .

منزلي .. فقد تناولت العشاء مع ثلة من الاصدقاء في **مطعم لاكاسكاد** المعروف ، وبينما اخذنا في خلال السهرة ندخن لفائفنا ونستمع الى الفرقة الموسيقية المجرية وهي تعزف الحان الفالس الحزينة ، كان الحديث يدور بيننا حول جرائم القتل والسطو المروعة التي تبعث تفاصيلها على الرعب والفزع .. وتلك لعمري أسوأ بداية عندما يكون المرء مقبلا على النوم

وانصرف آل سان مارتان في سيارتهم .. اما جان داسبري .. داسبري الرشيق الطروب ، متعة المجالس ومؤنس المجتمعات .. داسبري المنكود الذي جرى القضاء بأن يلقى حتفه بعد ستة شهور في ظروف اليمة على الحدود المراكشية .. اما داسبري وانا فقد مضينا سيرا على الاقدام ، في الظلمة الحالكة والجو الخانق الحار ، حتى منزلي الصغير

في شارع مالو بحى نويلى ، حيث كنت اقيم خلال الاثنى عشر شهرا الأخيرة .. واذ بلغنا المنزل قال داسبرى فجأة وفى رصانة غريبة :

– الا تشعر بالخوف يا صديقى ؟

– يا لها من فكرة عجيبة ! .

– حسنا .. ان هذا المنزل الذى تقطنه بعيد عن العمران ، لا يجاوره شيء من المساكن ، وتحيط به ارض فضاء .. وانت تعلم اننى لست جبانا .. ومع ذلك فانى لا اجرؤ ...

فقاطعته صائحا :

– صه .. يا لله .. انك كثير الهذر الليلة !!

– هذا مجرد كلام يا صديقى كأى كلام آخر كان يحتمل ان انطق به .. فان آل سان مارتان قد اثاروا اعصابى بحديثهم عن القتلة وقطاع الطرق .

وتصافحنا .. وانصرف داسبرى فى طريقه .. بينما اخرجت مفتاحى وفتحت الباب وما لبثت ان قلت لنفسى :

– عجبا .. لقد نسى انطوان ان يترك لى شمعة مضاءة

ولكنى عدت فذكرت فجأة ان خادمى انطوان ليس فى المنزل فقد منحته اجازة الليلة !

وانقبض قلبى لهذا الظلام الدامس والسكون الموحش ، فأسرعت بما وسعنى من جهد حتى ارتقيت الدرج وبلغت حجرتى .. وعندئذ اوصدت الباب من الداخل بالمفتاح ، على غير مألوف عادتى ، ثم دعمته بالرتاج الحديدى وهو ما لم افعله قط من قبل .

واشعلت احدى الشموع .. فأعاد الضوء الى

نفسى بعض سكينتها .. ومع ذلك فقد اخرجت مسدسى المضخم من جرابه ، ووضعته على الخوان بجوار الفراش .. وكأنما أفرخ روعى بعد هذه الحيطة التى اتخذتها ، فما لبثت ان اويت الى الفراش وتناولت ، كعادتى ، الكتاب الذى اقرأ فيه قليلا كل ليلة استجلابا للنوم . !

وكانت تنتظرنى مفاجأة رهيبة .

فحيث كان الفاصل الذى اضعه بالكتاب للدلالة على الصفحة التى وقفت عندها ، وجدت غلافا صغيرا مختوما بالشمع الاحمر .. ما كدت اقلبه فى لهفة حتى الفيته معنونا باسمى وعليه كلمة « **عاجل** » .

يا الهى .. هذا الخطاب .. الموجه لى . كيف كيف وضع هنا ؟ ومن الذى استطاع ان يتسلل الى مخدعى فيضعه فى كتابى ؟

وفضضته باصابع مرتعدة ، وقد توترت اعصابى .. فاذا به رسالة هذا نصها :

« من اللحظة التى تفتح فيها هذا الخطاب ، عليك ان تلبث ساكنا مهما حدث ، ومهما سمعت .. واياك ان تأتى بحركة او تنبس بصوت .. فاذا فعلت فعليك العفاء ! .. »

وما كنت جبانا بدورى .. وكنت اعرف كيف يخلق بالرجل أن يواجه الخطر الحقيقى ، او يبتسم للأوهام التى قد تتملك مخيلته ... ولكنى أعود فأقرر اننى كنت فى حالة نفسية شديدة الاضطراب – كما مر القول – ورغم ذلك فان فى هذه الرسالة ما يبعث على القلق .. ان فيها شيئا لا استطيع ان ادرك كنهه ، ولكنه يكفى لازعاج اشد النفوس هدوءا وسكينة .

وكانت أصابعى تعبث بالرسالة فى حركة مستمرة

تتم على الانفعال ، بينما تعلقت انظارى بتلك الكلمات التهديدية :

ـ « .. **اياك ان تاتى بحركة أو تنبس بصوت .. فاذا فعلت ، فعليك العفاء** » .

وقلت لنفسى :

ـ هراء .. هذه مزحة سخيفة لاشك فيها ..

وكدت اضحك ساخرا من الرسالة ومن نفسى .. بل لقد هممت أن انفجر مقهقها بصوت عال .. ترى ما الذى منعنى وأى فزع غامض كان يضغط على حلقى ؟

واخيرا هممت بان اطفىء الشمعة واحاول النوم .. ولكن لا .. لم يعد بوسعى أن اطفئها فالرسالة تقول : « **اياك ان تاتى بحركة** » وهكذا لم يبق الا ان اغمض عينى فاغمضتهما .

وفى تلك اللحظة شق السكون صوت خافت تلته ضوضاء وجلبة اخرى .. وبدا لى انها تنبعث من الحجرة الفسيحة المجاورة ، والتى اتخذتها مكتبا لى ، ولا يفصلنى عنها الا الممر .

وكان لاقتراب الخطر ما اشعل نار الحماسة فى صدرى .. فشعرت باننى سوف اقفز من الفراش ، وامسك بمسدسى ثم اندفع الى الحجرة المجاورة .

ولكنى لم اقفز من الفراش .. ففى تلك اللحظة رايت احد استار النافذة اليسرى يتحرك امام عينى .

لقد تحرك الستار ، ما فى ذلك شك أو ريب .. وها هو لا يزال يهتز الآن .. بل لقد رايت فى وضوح انه فى الفرجة الضيقة التى بين الستار والنافذة كان يقف شبح انسان وقد حال جسمه دون بقاء الستار ساكنا .

وما من شك كذلك فى ان الشبح قد رآنى .. فهو يستطيع رؤيتى فى جلاء من الثغرات التى فى قماش الستار .. وعندئذ فهمت كل شىء .. فبينما كان الآخرون يسطون على مقتنياتى كانت مهمته أن يبعث الرعب الى قلبى .. وغدا من المستحيل ان اقفز من الفراش او امسك بالمسدس .. فان اقل حركة من جانبى ، او اقل صوت ينبعث من جهتى ، سوف يدفعنى الى موت محقق .

واهتز المنزل كله من طرقة عنيفة تلتها طرقات اخرى تنبعث متوالية ، كانها وقع مطرقة ضخمة .. وفى خلال ذلك لم تنقطع الاصوات الاخرى .. مما يدل على أن زوارى الكرام كانوا يعملون فى اطمئنان بلغ كل ما يحلو لهم ويطيب .

وكانوا على حق فى ذلك .. فما تحركت من مكانى قيد انملة .. ترى هل كان ذلك عن جبن وخوف ؟ كلا .. بل الواقع اننى كنت كانما وقعت فى غيبوبة .. ولم يعد بوسعى أن احرك عضلة واحدة فى جسمى .. ولعلها كانت حكمة منى ايضا .. فلماذا النضال والقتال ؟ .. ان وراء هذا الرجل عشرة آخرين سوف يخفون لنجدته وشد ازره .. فهل يستحق الأمر ان اعرض حياتى للخطر فى سبيل انقاذ بعض الصور والتحف ؟

ودام هذا العذاب الليل بطوله .. عذاب لا يطاق والم ذريع لا يحتمل .. وكانت الضوضاء قد سكنت .. والأصوات الاخرى قد انقطعت ، ولكنى لم اكف لحظة عن ترقب عودتها من جديد .. ثم هذا الرجل الذى يقف خلف الستار يرقبنى .. وسلاحه فى يده

.. فما كفت القارى الهالعة عن التحديق فيه ..
وكان قلبى يخفق فى عنف ، والعرق يتصبب من
جسمى كله باردا غزيرا .

وفجأة غمرنى شعور عميق من الراحة والطمأنينة
.. فقد سمعت صليل عجلات عربة اللبن وهى
تمشى فى الطريق .. وكنت أعرف ذلك الصوت جيدا
.. وعند ذلك تبينت أن الفجر قد بزغ وأن ضوءه
الباهت يتسلل الى الحجرة خلال الأستار المسدلة
على النوافذ .

وتوالى مرور عربات اللبن والخضار الأخرى ،
وازداد الضوء فى الحجرة .. وعندئذ بدأت الأشباح
تتلاشى بعد أن ملأت حجرتى الليل كله .

فمددت يدى خارج الفراش وأنا أصيح فى فرح
وحشى .. واندفعت نحو الستار .. ورأيت به ثقبا
لا يزال الدخان ينبعث من أطرافه ، كما وجدت ثقبا
آخر فى مصراع النافذة خلفه .

أما الرجل فلم أصبه .

وكان لذلك سبب واضح بسيط .. هو أنه لم
يكن يوجد خلف الستار أى رجل على الاطلاق .

* * *

ألم يكن يوجد أحد ؟!

وهكذا كان الأمر طول الليل .. كانت ثنية كبيرة
فى الستار هى التى شلت حواسى كل هذه المدة ..
وجعلتنى أشبه بشخص ينام نوما مغناطيسيا .. وفى
تلك الأثناء كان هؤلاء الأشقياء يعبثون بحجراتى
.. واندفعت من الفراش وقد استبد بى حنق
عظيم . ففتحت باب الحجرة واجتزت الممر ثم فتحت
بابا آخر واندفعت داخلا .

وعندئذ جمدت فى مكانى كالمأخوذ .. كانت
دهشتى أعظم من تلك التى تملكتنى عندما تبينت
عدم وجود أحد خلف الستار .. فلم يختف شىء
من الحجرة ولا نقص من مقتنياتى أصغر ما فيها ..
وكل تلك الأشياء التى توقعت سرقتها واختفاءها ..
الأثاث والصور والمعلقات الحريرية النفيسة وغيرها
.. كل هذه الأشياء كانت فى مواضعها !!

* * *

كان المنظر الذى صادفنى لا يصدقه عقل ..
وظللت أغمض عينى وأفتحهما لأستوثق من أننى
لست حالما .. والا فيما كانت اذن كل تلك الجلبة
والضوضاء وأصوات المطارق وصرير قطع الأثاث
وهى تنقل من أماكنها .. ولم أكتف بالنظرة الأولى
وانما مضيت أدور بالحجرة فاحصا مدققا ، أراجع
كل تحفة من مقتنياتى التى أعرفها حق المعرفة ..
فما ازددت الا يقينا بأنها جميعها تامة كاملة لا تنقص
شيئا .

ولكن الذى زاد من ضيقى وحنقى هو اننى لم أجد
أثرا واحدا ينم عن مرور الأشقياء بتلك الحجرة ..
فلا من مقعد تزحزح عن موضعه ، ولا من أثر
لقدم أو علامة ليد .

وأمسكت برأسى بين يدى وغمغمت أقول لنفسى :
اننى لم أجن بعد ، ولم أثقل فى الشراب ، ولا ريب
اننى سمعت ما سمعته حقا .

* * *

وعدت أفحص الحجرة بوصة بوصة ، وشبرا
بعد شبر ، مستخدما أدق ما عرفته من أساليب

البحث ، ولكنى لم اتنبه الى شىء .. والا فهل اعتبر ما وجدته اكتشافا ذا قيمة ؟ فقد رفعت طرف احد الابسطة الفارسية الثمينة المفروشة على الارض . واذا تحتها ورقة من ورق اللعب .. وكانت سبعة الكوبا (القلب) .. وهى ورقة كاملة واحدة من ورق اللعب الفرنسى .. ولكنها استرعت انتباهى لشىء عجيب تبينته فيها ، فقد كان الطرف الاسفل لكل من القلوب الحمراء السبعة مثقوبا ثقبا صغيرا مستديرا منتظما .

كان هذا ما وجدته .. ولا شىء غيره .. ورقة من ورق اللعب ، وخطابا داخل كتاب .. فهل يكفى ذلك للدلالة على اننى لم اكن ضحية حلم رهيب ؟

وواليت ابحاثى طيلة النهار فى الحجرة .. وكانت شديدة السعة بما لا يوائم بقية الحجرات التى كانت ضيقة الى حد ما .. وكانت نقوشها تنم على غرابة اطوار الرجل الذى رسمها ووضع تصميمها .. كانت ارضها من البلاط الملون الصغير الحجم ، كما كانت جدرانها مكسوة بمثل هذا البلاط فى رسوم غريبة من الطراز الرومانى والبيزنطى .. وكانت على احد الجدران صورة باربزة لاله الخمر يمتطى برميلا .. وعلى جدار آخر كانت صورة امبراطور رومانى على راسه تاج من الذهب وتتدلى لحيته الطويلة فوق صدره ، بينما يرفع بيده اليمنى سيفا مسلولا .

اما النافذة الوحيدة للحجرة فكانت مرتفعة عريضة ، كتلك التى توجد فى مراسم المصورين .. وكنت اتركها مفتوحة طول الليل ، وهى السبيل الوحيد لدخول اللصوص اذا ما استعانوا بسلم طويل

.. ولكن هذا الافتراض لم يلق ما يدعمه ، فقد فحصت ارض الحديقة جيدا فلم اجد تلك الآثار التى تتركها قوائم السلم .. كما كان العشب فى ذلك الموضع مستويا على سوقه ينطق بانه لم يوطأ بقدم واحدة .

واعترف ان فكرة الاستعانة برجال البوليس لم تخطر ببالى قط .. فان الوقائع كذا هى الذى استخف من ان ابسطها امامهم .. ولعلهم سيضحكون منى ساخرين اذا حدثتهم عنها .

❊ ❊ ❊

وكان اليوم التالى هو المخصص للصفحة التى احررها بجريدة **جيل بلاس** .. ولما كنت لا ازال متاثرا من مغامرتى هذه فقد رحت ارويها بالتفصيل الدقيق على صفحات الجريدة .

وقد تلقى القراء مقالى فى غير اكتراث ، ونظروا اليه بحسبانه قصة خيالية اكثر منها حادثا حقيقيا .. بل ان آل سان مارتان راحوا يسخرون منى ومن قصتى .

اما صديقى دامبرى ، وهو على كثير من الخبرة فى مثل هذه الامور ، فقد حضر لمقابلتى وطلب منى ان اشرح له القصة كلها بادق تفاصيلها .. واخذ يدرسها معى .. ولكنه لم يوفق الى تعليل لها باكثر مما وفقت .

❊ ❊ ❊

وما مضت بضعة ايام حتى قرع جرس الباب الخارجى ذات صباح ، ثم اتى خادمى انطوان ليبلغنى ان رجلا يريد مقابلتى ، ولكنه رفض ان يذكر اسمه .. فامرته باحضاره .

وكان الرجل فى نحو الاربعين من العمر شديد السمرة ، ذا ملامح بادية الصرامة وكانت ثيابه ، على قدمها ، نظيفة ، تنم على ذوق سليم ، ولو ان الرجل نفسه كان عامى الحركات .

ومضى زائرى نحو هدفه قدما ، فقال فى صوت متهدج ولكنة اجنبية :

— لقد كنت مسافرا يا سيدى ووقعت انظارى على مقالك فى صحيفة **جيل بلاس** فى احد المقاهى فقرأته فى امعان واهتممت به كل الاهتمام .

— شكرا لك .

— ولما عدت من رحلتى أتيت اليك من فورى .. فهل جميع الوقائع التى ذكرتها صحيحة ؟

— كل الصحة .

— اليس فيها واقعة واحدة ابتكرتها مخيلتك ؟

— كلا البتة .

— فى هذه الحالة من المحتمل ان تكون لدى معلومات يمكن ان ادلى بها اليك .

— ارجوك ان تعجل بها اذن .

— كلا .. — ماذا تعنى بحق الشيطان .

— قبل ان اقول حرفا واحدا ينبغى ان استوثق اولا من انى على صواب .

— وما السبيل الى ذلك ؟

— هو أن ابقى بمفردى برهة فى تلك الحجرة .

فتطلعت اليه فى دهشة وقلت مغمغما :

— لست افهم تماما .

— انها فكرة طرأت لى عندما قرأت مقالك .. فان بعض الوقائع التى ذكرتها تنشىء توافقا عجيبا

بين مغامرتك هذه ومغامرة اخرى عرفت بها بمحض الصدفة .. فاذا كنت مخطئا فى استنتاجى فمن الخير ان اخلد الى الصمت .. والسبيل الوحيد الى التأكد ان اظل منفردا .

ترى ما الذى يرمى اليه الرجل من وراء هذا الاقتراح ؟ وقد ذكرت فيما بعد أن الرجل اذ كان يطالب منى ذلك ، كان يبدو قلقا وفى عينيه لمحة تنم على اللهفة .. ولكنى وقتئذ على الرغم من دهشتى ، لم ار فيما يطلبه شيئا خارقا غير مألوف ، فضلا من ان فضوله قد اثارنى ، فقلت :

— حسنا .. كم من الوقت يكفيك ؟

— آه ! .. حسبى ثلاث دقائق .. وهذا كل شىء .. وسوف اعود اليك بعد هذه الدقائق الثلاث .

فغادرت الحجرة وهبطت الى الطابق الأسفل ، حيث اخرجت ساعتى .. لقد مضت دقيقة .. ثم دقيقتان .. ولست ادرى سر ذلك الانقباض الذى تملكنى وقتئذ .. ورحت أتساءل : لماذا تمضى هذه الدقائق متثاقلة بطيئة ؟

دقيقتان ونصف .. دقيقتان وخمس وأربعون ثانية .

وعندئذ سمعت فجأة طلقا ناريا يدوى فى جنبات المنزل .

فاندفعت نحو الدرج ارتقيه فى بضع وثبات .. وولجت الحجرة .. واذا بصيحة فزع عالية تنطلق من بين شفتى .

كان الرجل ملقى على جنبه الايسر بلا حراك ، والدم ينبثق من رأسه ، على حين كان يمسك بيده مسدسا لا يزال الدخان ينبعث من فوهته .

وانتفض جسمه انتفاضة اخيرة .. ثم انتهى كل شىء .

بيد انه كان هناك شىء استرعى انتباهى اكثر من هذا المنظر المروع .. شىء جعلنى اتريث قليلا فى الاستغاثة أو الركوع بجوار القتيل لأرى ان كانت لا تزال به بقية من الحياة .

فعلى قيد خطوتين منه ، كانت على الارض ورقة من ورق اللعب هى سبعة الكوبا ! !

وعندما التقطتها لاتأملها من كثب الفيت الاطراف السفلى للقلوب جميعها مثقوبة ثقوبا منتظمة مستديرة .

* * *

وبعد نصف ساعة وصل قومسير البوليس ، وما لبث أن تبعه الطبيب الشرعى ، ثم مسيو ديلوى مدير ادارة المباحث الجنائية .. وقد كنت حريصا على المس الجثة .. وبذلك لم اتدخل بما قد يفسر على لمس الجثة .. وبذلك لم اتدخل بما قد يضر عمل هؤلاء الاخصائيين .. وكانت ملاحظاتهم قليلة فى بادىء الامر .. فلم يكتشفوا شيئا ذا اهمية .. ولم يجدوا فى جيوب القتيل أوراقا تحمل اسمه .. كما كانت ثيابه لا تحمل اية علامة تهدى الى مكان شرائها .. وبالاختصار لم يكن ثمة شىء ينم على شخصيته .

اما الغرفة نفسها فكانت فى نظامها العادى .. فلم يتحرك شىء من محتوياتها التى كانت جميعها فى مواضعها الأصلية .. ومع ذلك فان الرجل لم يحضر الى هنا لمجرد الانتحار فى منزلى .. لا ريب أن هناك

باعثا معينا دفعه الى اليأس فقتل نفسه .. ولاريب كذلك فى ان هذا الباعث قد نشأ من امور اكتشفها خلال الدقائق الثلاث التى قضاها فى الحجرة منفردا .

ولكن ما هذه الامور ؟ وما الذى رآه او اكتشفه؟ وأى سر رهيب عثر عليه ؟ .. ذلك ما لا استطيع ان اعرفه .

وفى اللحظة الاخيرة حدث امر خيل الينا انه على جانب كبير من الاهمية .. فقد انحنى رجال البوليس ليرفعوا الجثة ويضعوها فوق احدى النقالات لتحمل الى معرض الجثث ، فاذا بيده اليسرى التى كانت مطبقة ، قد تراخت وسقطت منها بطاقة زيارة مغضنة .. وكانت البطاقة تحمل هذه الكلمات :

« جورج أندرمات . ٣٧ شارع بيرى » .

ترى ما معنى ذلك ؟ كان جورج أندرمات احد كبار رجال الاعمال فى باريس .. فهو مؤسس ورئيس مجلس ادارة شركة اتحاد المعادن التى كانت تقوم بقسط وافر فى سبيل ازدهار تجارة المعادن بفرنسا .. وكان يقيم فى قصر عظيم ويعيش عيشة باذخة ويقتنى كثيرا من السيارات واسطبلات لخيول السباق .. وكانت الحفلات التى يقيمها تزخر بالصفوة من اهل باريس كما كانت مدام اندرمات مشهورة بسحرها وجمالها الفاتن .

وغمغمت اقول : أيكون هذا اسم الرجل ؟

ــ كلا . فان مسيو اندرمات رجل نحيل الوجه وقد بدأ الشيب يخط شعره .

ــ ولكن هذه البطاقة ؟

ــ سوف ترى .. هل تسمح لى باستخدام التليفون يا سيدى ؟

- بلا شك .. انه في الردهة .

وصحبته الى التليفون حيث اتصل بالدرمات وطلب اليه ان يأتي بأقصى سرعة الى رقم ١٠٢ شارع عالو .

فلم تمض عشرون دقيقة حتى كان مسيو الدرمات يهبط من سيارته امام المنزل .. فأخبره مدير الشرطة بالسبب الذي دعاه من اجله .. ثم صحبه الى الحجرة العليا ليرى الجثة وما كادت تقع انظاره عليها حتى بدا عليه الانفعال ، وقطب حاجبيه وهو يغمغم في صوت خافت كأنما افلتت الكلمات من فمه رغم ارادته : يالله .. انه البين فاران !

- هل تعرفه يا سيدي ؟

- كلا .. انما اعرفه بالنظر فقط .. فان اخاه ..

- آه .. هل له أخ ؟

- نعم .. الفريد فاران .. وقد اعتاد ان يتردد على ليسألني ان اساعده .. ولست اذكر الآن فيما كان يريد مساعدتي .

- هل تعرف اين يقطن ؟

- لقد اعتاد الاخوان ان يقيما معا .. في شارع بروفانس على ما اظن .

- اليست لديك فكرة عن السبب الذي يدفعه لاطلاق النار على نفسه ؟

- كلا البتة .

- ومع ذلك فقد كان يمسك ببطاقتك في يده .

- هذا ما لا استطيع فهمه .. فلا ريب انها مجرد مصادفة سوف يكشف التحقيق عنها . لا شك انها - في رأيي - مصادفة عجيبة تلك التي يزعمها مسيو

الدرمات (واحسب ان شعور الآخرين في ذلك كان شبيها بشعوري .. بل لقد تبينت ان الرأي العام يشاطرني شعوري هذا عندما قرأت صحف الصباح وعندما تناقشت في الحادث مع أصدقائي .

وكان ينبغي أن تكون هذه البطاقة بشيرا بانبثاق الضوء الذي يبدد ظلمات هذه الحوادث .. بعد ان زادت من تعقيدها ورقتا اللعب المتشابهتان (سبعة الكوبا) ذات الثقوب السبعة في كل منهما .. وهذان الحادثان الغريبان اللذان كان منزلي مسرحا لهما .. فبواسطة هذه البطاقة قد يصل البوليس الى الحقيقة .

ولكن مسيو الدرمات ، على عكس ما توقعه الجميع ، لم يقدم مفتاحا واحدا لهذا اللغز .. وكان لا يفتأ يردد : لقد قلت كل ما اعرفه .. فماذا بوسعي ان افعل اكثر من ذلك .. لقد كنت انا اول من صعق لهذه المفاجأة عندما علمت أن بطاقتي وجدت حيث كانت .. واني كأي شخص آخر انتظر في لهفة جلاء هذا الأمر .

ومع ذلك فان هذه النقطة لم يمكن جلاؤها .. وقد اظهر التحقيق ان الاخوين فاران ، وهما من اصل سويسري ، كانا يعيشان عيشة مريبة ، بأسماء مستعارة ، ويرتادان بيوت الميسر ، وعلى صلة وثيقة بعصابة من الأجانب كانت حركاتها موضع مراقبة رجال البوليس ، وقد تشتت شملها عقب عدة حوادث من حوادث السطو ؛ ولو ان اشتراك الاخوين في هذه الحوادث لم يثبت الا فيما بعد .. وقد ظهر ان الاخوين فاران كانا يقيمان في منزل بشارع

اندرمات الذى كان قد اسس للتو اتحاد المعادن الباريسى .

وبعد عديد من الاتصالات والمقابلات نجح فى اثارة اهتمام مسيو اندرمات بتصميم الغواصة التى كان يشتغل فى اختراعها .. وكان المفهوم أنه بمجرد اتمام الاختراع فان مسيو اندرمات سوف يستخدم نفوذه فى اقناع وزير البحرية بالموافقة على اجراء سلسلة من التجارب عليها .

وظل لويس لاكومب عامين كاملين يتردد على دار اندرمات ويعرض على المالى نتائج التحسينات التى يدخلها على اختراعه ، حتى اتى اليوم الذى وصل فيه الى التصميم الأخير الذى كان يسعى وراءه حتى اذا ما رضى عن نتيجة عمله طلب الى مسيو اندرمات ان يبدأ المهمة التى تعهد بها .

وفى ذلك اليوم تناول لاكومب طعام العشاء على مائدة آل اندرمات .. ثم غادر المنزل فى الحادية عشرة والنصف مساء .

ومنذ ذلك الحين لم تقع على لويس لاكومب عين انسان .

وبالرجوع الى الصحف الصادرة فى ذلك الحين ، نجد أن عائلة المهندس الشاب ابلغت البوليس عن اختفائه ، كما أن المدعى العام تولى تحقيق الأمر بنفسه .. ولكن التحريات لم تسفر عن أية نتيجة . وسرى الاعتقاد بأن لويس لاكومب ، وقد كان يعد شابا غريب الأطوار منطويا على نفسه ، قد سافر الى الخارج دون ان يخبر احدا من أهله او اصدقائه بعزمه ..

ولو قبلنا الفرض ، وهو بعيد الاحتمال الى حد ما ، فاننا نجد انفسنا امام سؤال على جانب كبير من الاهمية والخطورة بالنسبة للوطن .. وهو : ما الذى انتهى اليه امر الاختراع ؟ . وهل اخذ لويس لاكومب رسوم الغواصة معه ؟ ام انها اتلفت او اعدمت

وقد قمنا بتحريات واسعة النطاق انتهت الى ان رسوم الغواصة لا تزال موجودة .. وانها كانت بين الاخوين فاران .. فكيف استطاعا الاستيلاء عليها .. هذا ما لم نفلح فى استقصائه بعد ، كما لم يمكنا معرفة السبب فى انهما لم يحاولا بيعها قبل ذلك .. ولعلهما خشيا ان يسألا عن كيفية حصولهما عليها .. ومهما يكن من أمر فان هذا الخوف ما لبث ان تلاشى على مر السنين ، وها نحن الآن ملكا لحكومة اجنبية .. بل اذا دعت الضرورة فان فى وسعنا نشر الخطابات التى تبودلت بين ممثلى تلك الدولة وبين الأخوين فاران ..

وقد علمنا عند كتابة هذه السطور ان الغواصة (سبعة الكوبا) التى اخترعها لويس لاكومب قد اخرجها جيراننا الى حيز الوجود .. وهم يهمون الآن بتجربتها ..

فهل تخيب التجربة آمال أولئك الرجال الذين ارتكبوا اثم هذه الخيانة ؟ .. ان لدينا من الاسباب ما يدعو الى أن نرجو ذلك .. بل اننا لنهنىء انفسنا من الآن بأن الحوادث ستحقق ما نقول » .

وتلت ذلك حاشية جاء فيها :

« لقد كان ما رجوناه صحيحا كل الصحة .. فقد تلقينا من مصادرنا الخاصة ، ساعة مثول الصحيفة للطبع ، انباء هامة تدل على ان تجربة الغواصة

(سبعة الكوبا) لم تؤد الى نتائج مرضية .. والارجح ان الرسوم التى سلمها الاخوان فاران كانت تنقص المستند الاخير الذى احضره لويس لاكومب الى مسيو اندرمات ليلة اختفائه .. وهو مستند ضرورى لفهم الاختراع فهما كاملا ، اذ هو ملخص للنتائج والمعادلات المبينة تفصيليا فى الرسوم والاوراق الاخرى .. وبدون هذا المستند تظل الرسوم غير تامة كما انه عديم الجدوى ما لم تكن معه الرسوم ..

« لذلك فان الفرصة لم تصبح منا بعد للعمل الجدى واسترداد ما يخصنا .. ونحن نعتمد فى هذه المهمة العسيرة على معونة مسيو اندرمت كل الاعتماد .. كما اننا فى لهفة الى سماع ايضاحه للمسلك الغريب الذى سلكه منذ البداية .. وعليه ان يقول لنا لماذا لم يخبرنا بما يعرفه عندما انتحر آتيين فاران .. ولماذا لم يذكر قط شيئا عن ضياع الاوراق التى كانت فى حوزته .. وسوف يقول لنا ايضا السبب الذى حدا به الى مراقبة الاخوين فاران طوال السنوات الست الماضية ، بوسطة مخبرين سريين على نفقته الخاصة ..

« اننا ننتظر افعالا لا اقوالا .. والا ...

وانتهى المقال وحاشيته بهذا الوعيد القاسى .. ولكن .. ولكن اية قوة يملكها هذا الوعيد ؟ وما هى الوسائل التى يستطيع بها « **سلفاتور** » ذلك الكاتب المجهول ارغام مسيو اندرمات او اغراءه على الكلام ؟.

وتدافع مندوبو الصحف نحو مسيو اندرمات يسألونه رأيه ، وما لبثت مقالاتهم ان راحت تصف حنق مسيو اندرمات وانكاره لهذه الاقوال التى نسبت اليه .. وعندئذ نشر **سلفاتور فى صوت فرنسا** تعليقا

موجزا قال فيه :

« ان مسيو اندرمات ، سواء رضى ام كان كارها ، **سوف يصبح منذ اليوم عوننا فى المهمة التى اضطلعنا بها واخذناها على عاتقنا »** .

وفى اليوم الذى نشر فيه هذا التعليق كان جانسبرى يتناول معى طعام الغداء ... فلما فرغنا منه جلسنا نتدارس هذه القضية ، والصحف منشورة الى المائدة امامنا ، ونقلب الراى فيها من مختلف وجهات النظر ، وقد خالجنا ذلك الشعور من الضيق والحنق الذى يشعر به المرء عندما يسير فى ظلام حالك لا نهاية له وهو يتعثر دائما فى العقبات التى تصادفه.

وفيما نحن كذلك اذ بالباب يفتح بغتة ، وتبدو منه سيدة تسدل على وجهها قناعا كثيفا .. فعجبت اذ لم اسمع جرس الباب الخارجى يقرع من قبل .. ونهضت فى الحال لاستقبالها ، فقالت : هل أنت السيد الذى يقيم هنا ؟

ــ نعم يا سيدتى .. ولكنى ...

ــ لقد كان الباب الخارجى مفتوحا ..

ــ ولكن باب المنزل ...

فلم تحر جوابا .. وعندئذ ادركت انها ولا ريب قد دخلت من باب الخدم .. اتراها اذن تعرف الطريق جيدا ؟ .

وساد بعد ذلك صمت ثقيل ، كانت السيدة خلاله تنظر نحو دانسبرى فى تساؤل ، فقدمته اليها ثم رجوتها ان تجلس وتخبرنى بموضوع زيارتها ..

وعندئذ رفعت قناعها ، فرأيت وجها صبيحا تحت كوكبة من الشعر الاسود الناعم الهفهاف .. كما ادركت

انها ذات فتنة طاغية وسحر لا يقاوم يلوح اكثر ما يلوح من عينيها الناعستين الحزينتين .

وما لبثت ان قالت فى بساطة :

ــ انى مدام أندرمات .

فهتفت وقد زادت دهشتى : مدام اندرمات ؟ !

ولم تنبس بحرف فترة طويلة ، ثم قالت اخيرا فى صوت هادىء ونبرات رصينة :

ــ لقد حضرت بشأن ذلك الموضوع الذى تعرفه ... وقد حسبت انك تستطيع ان تمدنى ببعض المعلومات .

ــ انى يا سيدتى لا اعرف عن هذا الامر اكثر مما نشر فى الصحف .. وأرجو ان تذكرى لى على وجه التحديد نوع الخدمة التى تريدينها منى .

ــ لست ادرى .. لست ادرى تماما .

وعندئذ فقط أدركت ان ذلك الهدوء الذى يشملها ليس الا هدوءا ظاهريا ، وان وراء هذا المظهر الساكن أبرايا متأججة الأوار .. لذلك لم اجد ما يمكن ان اقوله كما انها لزمت الصمت بالمثل .

بيد ان داسبرى ، ولم يمكن قد كف لحظة عن التفرس فيها ، نهض من مكانه واقترب منها قائلا : هل تسمحين لى ان القى عليك بضعة اسئلة يا سيدتى ؟

فصاحت : نعم .. نعم .. سوف اتكلم اذا فعلت .

ــ هل تتكلمين .. مهما كانت الاسئلة ؟

ــ أجل .. مهما كانت .

ففكر لحظة ، ثم سألها : هل كنت تعرفين لويس لاكومب ؟

ــ نعم .. عن طريق زوجى . متى رأيته آخر مرة ؟

ــ فى الليلة التى تناول فيها طعام العشاء معنا .

ــ الم يحدث فى تلك ما أوحى اليك انك لن تريه ثانية ؟ .

ــ كلا .. فقد قال شيئا عن اعتزامه القيام برحلة الى روسيا .. ولكنه كان مجرد تلميح مبهم ..

ــ وعلى ذلك كنت تتوقعين رؤيته قريبا ؟

ــ نعم .. بعد يومين .. لتناول العشاء معنا ايضا .

ــ وكيف تعللين اختفاءه اذن ؟

ــ ليس فى مقدورى ان أعلله .

ــ ومسيو اندرمات ؟

ــ لا ادرى .. ولا تسلنى عن ذلك .

ــ ومع ذلك فان المقال الذى نشر بصحيفة **صوت فرنسا** يوحى بأن ..

ــ ان ما يوحى به هو ان الاخوين فاران لهما صلة باختفائه .

ــ اهذا رأيك ايضا ؟ ــ نعم .

ــ وعلى اى شىء تبنين اعتقادك هذا ؟

ــ عندما غادر لويس لاكومب منزلنا ، كان يحمل حافظة تحوى جميع الاوراق المتعلقة باختراعه .. وبعد يومين اجتمع زوجى مع احد الأخوين ، وهو الذى لا يزال على قيد الحياة ، وعلى قيد الحياة ، وعلى اثر ذلك الاجتماع اقتنع زوجى بأن هذه الأوراق قد غدت فى حوزة الاخوين ..

ــ ومع ذلك فانه لم يتقدم بالشكوى ضدهما ؟

ــ كلاهما ــ لماذا ؟

ــ لأن الحافظة كانت تحوى شيئا آخر بجانب اوراق اختراع لويس لاكومب .

ــ وما هو ذلك ؟ .

فترددت السيدة ، وبدا كأنها تهم بالاجابة وأخيرا اخلدت الى الصمت . فاستطرد داسبرى : اذن فهذا هو السبب الذى جعل زوجك يراقب الاخوين بواسطة المخبرين الخصوصيين دون أن يلجأ لرجال البوليس ؟ كان يرجو أن يستعيد أوراق الاختراع وذلك الشيء الآخر الذى كان الاخوين يستخدمانه فى ابتزاز المال منه بالتهديد ؟ .

ـ نعم .. منه .. ومنى .

ـ آه ! .. منك ايضا ؟ ـ منى بصفة خاصة .

نطقت بهذه الكلمات الثلاث فى صوت أجوف .. ورمقها داسبرى مليا ، ثم سار بضع خطوات وما لبث ان عاد اليها قائلا :

هل اعتدت ان تكتبى الى لويس لاكومب ؟

ـ بلا شك .. فن زوجى كان يعمل من أجله .

ـ دعينا من هذه الخطابات الرسمية : الم تكتبى الى لويس لاكومب خطابات اخرى ؟ ارجو ان تغفرى لى هذا الالحاح ، ولكن من الضرورى ان اعرف الحقيقة بحذافيرها . هل كتبت اليه خطابات اخرى ؟

فاشتد احمرار وجهها ، وغمغمت : نعم .

ـ وهل هذه الخطابات هى التى وقعت فى يد الاخوين فاران ؟

ـ نعم ـ اذن فقد عرفت مسيو الدرمات كل شيء ؟ .

ـ انه لم ير الخطابات قط .. ولكن الفريد فاران اخبره بوجودها وتوعده بنشرها فى الصحف اذا ما اتخذ زوجى اية خطوة ضده .. فخاف زوجى اذ كان يخشى الفضيحة .

ـ ولكنه بذل كل جهده فى استرداد الخطابات منهما .

ـ نعم .. او هذا على الاقل ما اعتقده ، فإنه منذ ذلك اليوم الذى اجتمع فيه بالفريد فاران ، وبعد تلك الكلمات القلائل القاسية التى اخبرنى بها بالأمر ، لم تعد الصلة بين زوجى وبينى كما كانت من قبل ، اذ فقدت الثقة بيننا واصبحنا نعيش معا كاثنتين من الغرباء .

ـ اذا كان الأمر كذلك ، واذا لم يكن لديك ما تخشين ضياعه ، فلماذا تخافين ؟ .

ـ اننى مهما كان من أمر الجفوة التى نشبت بينه وبينى ، فلا ازال المرأة التى احبها ذات يوم ، والمرأة التى لا يزال فى وسعه ان يحبها .

واقتبد كلامها همسا متهدجا ، وهى تضيف :

ـ نعم .. ان حبه لى ما كان ليفتر او يخمد لهيبه لو لم يسمع عن تلك الخطابات اللعينة ، او يحصل عليها .

ـ ماذا ! .. هل نجح فى الحصول عليها ؟ ولكن لا ريب ان الاخوين قد اتخذا حذرهما ، حتى لا يتمكن من الوصول الى الاوراق ؟ .

ـ نعم .. بل انهما ، فيما يبدو ، كانا يفخران بأن لديهما مخبأ أمينا .

ـ حسنا . ـ ولكنى اعتقد ان زوجى قد اهتدى الى ذلك المخبأ .

ـ حقا .. واين وجده ؟ ـ هنا .

فأجفلت وانبعثت قائمة ، واذا اكرر كلمتها : هنا !! واستطردت مدام الدرمات قائلة :

— نعم .. وقد كنت دائما ارتاب فى وجوده .. فان لويس لاكومب ، الذى كان شـديد البراعة ويهوى الاشياء الآلية المعقدة ، اعتاد ان يتسلى فى أوقات فراغه بعمل الاقفال والخزائن السرية .. ولابد ان الاخوين فاران قد اكتشفا احدى هذه الخزائن واعتادا ان يستخدماها فى خفاء الخطابات وغير ذلك من الاشياء التى يريدان اخفاءها .

فصحت قائلا : ولكنهما لم يسكنا فى هذا المنزل ؟

— لقد ظل هذا المنزل خاليا الى ان حضرت منذ بضعة شهور .. ومن المحتمل انهما اعتادا التردد عليه ، ولم يريا فى وجودك ما يضايقهما عندما يرغبان فى أخذ أوراقهما من هنا .. ولكنهما غفلا عن زوجى ، وانه الذى استطاع فى ليلة الثانى والعشرين من شهر يونيو ، اغتصاب الخزانة ، واخذ ما كان يبحث عنه ، ثم ترك بطاقته مكانا ليعرف الاخوان تماما ان القدر قد قلب لهما ظهر المجن ، وانه لم يعد فى مقدورهما تهديده بعد ذلك .. وبعد يومين ، أتى اليك اتيين فاران مسرعا ، على اثر اطلاعه على مقالك فى صحيفة **جيل بلاس** ، فلما تركته فى هذه الحجرة وحيدا فتح الخزانة فوجدها خاوية .. وعندئذ اطلق على نفسه الرصاص .

وبعد صمت يسير سألها دابسبرى :

— هذا كله مجرد استنتاج وتخمين بلا ريب .. أليس كذلك ؟ هل قال لك مسيو اندرمات شيئا ؟ .

— وهل تغير مسلكه حيالك ؟ الم يبد لك انه غدا اكثر قلقا او حنقا ؟ .

— كلا .

— الا ترين انه كان خليقا بأن يبدو كذلك اذا كان قد عثر على الخطابات ؟ .. انني من جانبي لا اعتقد البتة انه عثر عليها .. وفى رأيى ان شخصا آخر هو الذى دخل هنا .

— ولكن من يمكن ان يكون ؟ .

— انه الشخص الخفى الذى يحرك هذه الحوادث ويمسك بخيوطها بين يديه ، ويوجهها الى الهدف الذى يسعى اليه والذى لا نرى منه الا بصيصا ضئيلا من الضياء بين هذه الحوادث المعقدة .. انه الشخص الغامض الذى يحس الجميع قوته الخفية الرهيبة منذ البداية .. فهو الذى جاء مع اعوانه الى هنا ليلة الثانى والعشرين من شهر يونيو .. وهو الذى اكتشف المخبأ السرى ، وترك خلفه بطاقة مسيو وهو الذى استولى على أوراق الاخوين فاران وعلى الرسائل التى تثبت عليهما جريمة الخيانة العظمى ..

فصحت اقاطعه فى حنق وصبر نافذ :

— ولكن من هو هذا ؟ .

— انه ذلك الذى يبعث بمقالاته الى **«صوت فرنسا»** بلا ريب .. **سلفاتور** .. اليس الدليل على ذلك واضحا كل الوضوح ؟ الا تحوى مقالته من التفاصيل الدقيقة مالا يعرفه الا الرجل الذى كشف سر الاخوين ؟

فترنحت مدام اندرمات ، وقالت فى هلع :

— فى هذه الحالة فانه قد استولى على خطاباتى بالمثل ، وسوف يلجأ الى تهديد زوجى بدوره .. رباه .. ماذا استطيع ان افعل الآن بحق السماء ؟ .

فقال دابسبرى فى صراحة :

— اكتبى اليه .. وضعى ثقتك فيه مباشرة .. اخبريه بكل ما تعرفينه ، وكل ما يمكنك أن تعرفينه .. فان مصالحكما متفقة .. ولا توجد ذرة من الشك فى انه الآن انما يعمل ضد الباقى على قيد الحياة من الآخرين .. انه يبحث عن سلاح ضد الفريد فاران .. لا ضد مسيو أندرمات .. فعليك أن تقدمى له كل معونة ممكنة .

— ولكن .. كيف ؟ .

— هل لدى زوجك تلك المستند الذى يتمم رسوم اختراع اويس لاكومب ويجعلها صالحة للتنفيذ ؟ .

— نعم .

— أخبرى سلفاتور بذلك .. واذا احتاج الامر فاجتهدى فى الحصول على هذا المستند من اجله .. وبالاختصار عليك أن تتصلى به ، فليس لديك ما تخاطرين به الآن .

وكانت هذه النصيحة بالغة الجراة وقد بدت لاول وهلة شديدة الخطورة .. ولكن مدام أندرمات المكروبة لم يكن لديها سبيل للاختيار .. ثم انها — كما قال داسبرى — لم تكن تخاطر بشىء البتة .. واذا كان هذا الشخص المجهول عدوا لها فان تلك الخطوة لن تزيد مركزها سوءا عما كان من قبل .. واذا كان أجنبيا يسعى وراء هدف خاص فانه لن يعلق على هذه الخطابات سوى اهمية ثانوية .

ومهما يكن من امر ، فان مدام اندرمات مع اضطرابها وتبلبل افكارها ، رأت فى هذه الفكرة ما يهدىء من روعها .. فشكرتنا فى حرارة ووعدت بان تطلعنا على ما يتم اولا باول .

وبعد يومين ارسلت الينا رقعة موجزة تلقتها ردا على ما كتبته اليه .. وقد جاء بها :

« ان الخطابات لم تكن هناك .. واسكن هدئى روعك ، فسوف احصل عليها .. وثقى انتى معنى بكل شىء .

(س) » .

واذ وقعت أنظارى على هذه الورقة عرفت فيها نفس الخط الذى كتبت به الرسالة التى وجدتها فى حجرتى ليلة الثانى والعشرين من يونيو !!

وهكذا كان داسبرى على حق .. وكان **سلفاتور** هو المحرك الاعظم لهذه الاحداث جميعها .

* * *

كنا فى الواقع قد بدانا نرى بصيصا ضئيلا من النور بين الظلمات التى تحيط بنا ، مما جلا امامنا بعض النقاط الغامضة جلاء غير متوقع .. ومع ذلك فقد ظل بعضها شديد الغموض لا نفهم كنهه ، كورقتى اللعب المثاقبتين اللتين اكتشفتهما فى حجرتى .. وقد ظللت دائب التفكير فيهما ، والحيرة تستبد بى وتزداد ساعة بعد ساعة ، ولا سيما الثقوب السبعة التى رأيتها فى كل منهما وفى ظروف رهيبة .. فأى دور تلعبه هاتان الورقتان فى تلك المأساة ؟ .. وما مدى الاهمية التى ينبغى أن نعلقها عليهما ؟ .. وما هى النتيجة التى نستخلصها من ان الغواصة التى وضع اويس لاكومب تصميمها تحمل اسم « **سبعة الكوبا** » ؟

أما جان داسبرى فلم يكن يولى ورقتى اللعب الا اهتماما قليلا .. ولكنه كان يكرس نفسه لدراسة مشكلة اخرى كانت فى نظره اولى بالعمل السريع الحاسم .. كان يبحث فى جهد لا يكل ولا يفتر عن المخبأ السرى .. وكان يقول :

— من يدري ؟ ربما استطعت ان اعثر على الخطابات التى فشل **سلفادور** فى الاهتداء اليها ، فشلا لعله من قبيل السهو ! .. فانه لمن العسير ان يتصور المرء أن يأخذ الاخوان هذا السلاح القاتل الذى يعرفان قيمته من المكان الذى يعدانه فى مأمن من الاكتشاف .

* * *

ومضى يبحث ويمعن فى البحث .. وسرعان ما فرغ من بحثه فى الحجرة الكبرى ، فاوسع نطاق البحث الى باقى الحجرات .. لم يدع مكانا واحدا فى المنزل لم يفحصه من الداخل والخارج ، ولم يترك حجرا واحدا فى الجدران دون ان يقرعه ليتحقق من انه ليس مجوفا .. حتى السقوف لم تسلم من فحصه الدقيق .

وذات يوم حضر يحمل معولا ومجرافا ، ثم اشار الى الارض الفضاء المحيطة بالمنزل .. وقال : تعال معى .

وتبعته فى غير حماسة ، وقد حملنى المجراف واحتفظ بالمعول معه .. وقسم الارض عدة اقسام راح يفحصها واحدا بعد الآخر ، الى ان استرعى انتباهه فى احد الاركان بين جدارين قديمين لاسوار المنزلين المجاورين كومة من الاحجار والاتربة نما فوقها العشب .. فبدأ العمل .

وكان على ان اساعده .. فظللنا نعمل ساعة كاملة على غير هدى تحت اشعة الشمس المحرقة .. ولكننا ما كدنا نرفع الاحجار والاتربة ونبدأ الحفر فى الارض ذاتها ، حتى كشف داسبرى عن عدد من العظام

هى بقايا هيكل عظمى لا تزال شرائح من الثياب البالية عالقة به !

وفجأة .. شعرت بالدم يجمد فى عروقى ، فقد رأيت بجوار العظام صفحة صغيرة من الحديد مستطيلة الشكل تحمل علامات حمراء اللون ، فانحنيت لالتقطها .. وقد صح حدسى ، فان تلك الصفحة الحديدية كانت فى حجم ورق اللعب .. اما العلامات الحمراء ، وكانت قلوبا سبعة ، فقد كانت مواضعها تماثل مواضع القلوب فى ورقة اللعب .. وكانت اطرافها السفلى جميعا منقوبة ثقوبا صغيرة مستديرة !!

فقلت لصديقى : اصغ الى يا داسبرى .. لقد رأيت من هذا الامر ما يكفينى ، وربما كنت تجد فيه تسلية لك .. فاذا كان الامر كذلك فسوف ادعك تنعم بهذه التسلية وحدك .

* * *

ترى هل كان الضعف الذى انتابنى فجأة نتيجة انفعالى من هذه المفاجأة ؟ ام تراه كان بسبب العمل المرهق المتواصل فى حرارة الشمس القاسية ؟ .. وسواء أكان هذا ام ذاك ، فقد القيت المجراف جانبا وعدت الى منزلى مترنحا لا اقوى على المسير .. وما ان بلغته حتى أويت الى الفراش متعبا منهوكا .

ولبثت راقدا يومين كاملين ، وفى بدنى حمى لا يهدأ اوارها ، بينما كانت تتراقص حولى هياكل عظمية بشعة المنظر ، وهى تلهو فيما بينها بتقاذف قلوب حمراء دامية .

* * *

وكان داسبرى شديد الاخلاص لى .. كان يولينى

من وقتـــه ثلاث ساعات أو اربعـــا كل يوم ينفقها في الغابة بي ، وان كان في الواقع يقضى بعضـــها في البحث والتنقيب داخل الحجرة الـكبيرة .. وكان يقول لى بين لحين والآخر :

ـ ان الخطابات هنـا في هذه الحجرة .. وانني بحياتي على ذلك .

فاجيبه وانا احس بشعرى يقف فوق راسي :

ـ دعني من هذا الامر بحق السماء .

ونهضت من فراشي في صبيحة اليـوم الثالث وقد شفيت من وعكتي ، وان كنت لا ازال اشعر بضعف في جسمي .. ولـكن الغذاء الشهى الذى تناولته غذاني وشدد من قواى .

وفي الســاعة الخامسة تلقيت بالبريد المستعجل خطابا كان له الاثر الحاسم في انعـام شغالي واثارة فضولي ، على الرغم مما حدث كله .

وكان الخطاب يحوى هذه الـكلمات :

« سيدى ..

« ان المسرحية التى مثل الفصـــل الأول منهـا في ليلة الثاني والعشرين من شهر يونيو ، قد اقتربت خاتمتها .. ولما كانت الظروف تتطلب ان اجمع بين الشخصيتين الرئيسيتين فيها وجها لوجه ، وان تتم هذه المواجهة في منزلك ، فاني ارجو رجاء حارا ان تتفضل فتسمح لى باستخدام منزلك هذه الليلة ، ومن الأوفق ان ترسـل خادمك بعيدا عن المنزل من الساعة التاسعة الى الحادية عشرة ، كما قد يكون من الأوفق ايضا أن تتكرم بترك الميدان خاليا للخصوم بالمنزل .. وبوسعك ان ترى بنفســك انني في يوم

٢٢ يونيو قد احترمت جميع مقتضيـاتك ولم امدد اليها يدا ، فلك أن تطمئن على كل ما [illegible] المنزل .

« واني من جانبي اعدها اهانة لك ، اذا ما خالجنى الشك لحظة واحدة في كتمانك هذا السر كتمانا مطلقا .
[illegible] المخلص : سلفاتور »

وقد ابتهجت كل الابتهاج بتلك اللهجة المهذبة التى انطوى عليها هذا الخطـاب ، وان كانت لا تخلو من سخرية رقيقة ، وكذلك باسلوب الرجاء الذى يحويه .. وكأنما كان الـكاتب واثقا من رضاى ، عليمـا بانني لن ارد له طلبا .. ولعمرى لقد اصـاب .. فما كنت بالذى يخيب رجاءه ، او يقابل ثقتـه بالجحود .

وانصرف خادمي في الساعة الثامنة ، ليذهب الى المسرح بالتذكرة التى قدمتها له .. وبعد قليـل اذا بصديقي داسبيرى يحضر ، فاطلعته على الخطاب .. وما ان قرأه حتى تهلل الى متسائلا ، فقلت :

ـ حسنا .. سوف أترك الباب الخارجى مفتوحا حتى يستطيع الدخول .

ـ وهل تنوى مغادرة المنزل ؟

ـ ليس في نيتي شيء كهذا .

ـ ولـكنه يرجو ان ...

ـ انه يرجو ان أكون كتوما .. وسوف أكون .. ولـكن الفضول يدفعني لرؤية ما سوف يحدث .

فقهقه داسبيرى وقال :

ـ تالله انك لعلى حق .. وسوف ابقى بالمنـزل ، وان قلبى يحدثني باننا لن نشعر بالملل .

وقطع عليـه عبارته رنين الجرس الخارجي .. فغمغم قائلا :

ـ انهم حضروا الآن .. قبل موعدهم بعشرين دقيقة ؟ .. هذا محال .

فمضيت الى الردهة وجذبت الحبل الذى يفتح باب الحديقة ، واذا بى أرى شبح سيدة تأتى فى الممر مسرعة .. واذا هى مدام الدرمات .

وكانت تبدو شديدة الاضطراب .. وراحت تلهث وهى تقول :

ـ زوجى ! .. انه فى طريقه الى هنا ! .. فهو على موعد هنا ، وسوف يعطونه الخطابات .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ بطريق الصدفة .. فقد تلقى زوجى رسالة اثناء العشاء .

ـ أهى رسالة بالبريد المستعجل ؟

ـ كلا .. رسالة تليفونية ، وقد ناولتنيها الخادم خطأ .. واخذها زوجى فى الحال ، ولكن بعد أن استطعت قراءتها .. فقد قال المتحدث : « **احضر الى شارع مارلو فى الساعة التاسعة هذا المساء ، ومعك المستندات الخاصة بالمسألة التى تعرفها .. وستحصل لقاء ذلك على الخطابات** » .. فما كدنا نفرغ من العشاء حتى صعدت الى حجرتى ، ثم اتيت الى هنا للتو .

ـ دون أن يعلم مسيو الدرمات ؟

ـ نعم .

فنظر داسبرى الى قائلا :

ـ ما رأيك فى هذا ؟

ـ رأيى هو رأيك .. فمسيو الدرمات هو أحد الخصوم الذين دعوا الى اللقاء .

ـ ولكن من هو الذى دعاهم .. ولأى غرض ؟

ـ هذا ما سوف نراه بعد قليل .

وصحبتها الى الحجرة الكبرى .. فوجدت مكانا يكفى لاختباء ثلاثتنا خلف الستار القرمزى المسدل فوق المدفأة الكبيرة ، واتخذنا مواقعنا هناك .. وقد جلست مدام الدرمات بين داسبرى وبينى ، وكنا حيث جلسنا نستطيع رؤية الحجرة كلها خلال الفتحات التى بالستار .

ودقت الساعة تسع مرات .. وبعد لحظة سمعنا صرير الباب الحديدى الخارجى .

واعترف انى كنت وقتئذ اشعر باضطراب شديد . وخيل الى ان الحمى ستعاودنى من جديد .. فقد كنا مقبلين على اكتشاف مفتاح السر .. وهذه المغامرة الغامضة التى تتابعت مراحلها امامى خلال الأسابيع الماضية ، توشك الآن على بلوغ ذروتها .. وسوف تقع المعركة الفاصلة فيها امام عينى .

وامسك داسبرى بيد مدام الدرمات ، وهمس قائلا :

ـ حذار ان تأتى بأدنى حركة .. ومهما رأيت او سمعت ، فعليك ان تحتفظى بالهدوء والسكينة .

وعندئذ دخل الحجرة رجل ما ان وقعت عليه انظارى حتى أدركت أنه الفريد فاران للشبه بينه وبين أخيه ، وكان له نفس القوام والوجه الملوح بالسمرة واللحية المدببة .. وكانت تبدو عليه لمحة من القلق واللهفة ، أشبه بالرجل الذى يخشى ان يقع فى كمين فيظل يتلفت حواليه فى حذر وارتياب .

والقى نظرة سريعة حول الحجرة ، فشعرت ان منظر تلك المدفأة التى اسدل الستار عليها لم يرقه ..

وخطا ثلاث خطوات صوبنا ؛ ولكن فكرة اخرى ...
ـ لا شك انها اهم من ذلك بكثير ـ ما لبثت ان واتت...
.. فقد تحول فجأة نحو احد الجدران ، ووقف امام
تمثال الامبراطور ذى اللحية العريضة والسيف البراق
وراح يفحصه مليا ، ثم ارتقى فوق احد المقاعد وبد...
يتحسس اطراف الوجه والساقين بأنامله وهو الطي...
لمس بعض المواضع اثناء ذلك .

ولكنه قفز من فوق المقعد فجأة وتحول بعيدا ...
الجدار .. فقد سمع ، كما سمعنا ، وقع الخطوات
التى كانت تقترب .. واذا بمسيو اندرمات يبـ...
من الباب .

وندت عن المالى صيحة دهشة وهو يقول :

ـ انت .. انت .. هل كنت انت الذى دعا...
الحضور ؟

فاسرع فاران يقول محتجا :

ـ انا .. كلا البتة .. لقد حضرت بناء على خطابك

ـ خطابى ؟

ـ نعم .. انه خطاب يحمل توقيعك ، وي...
تعرض على ...

ـ اننى ما كتبت اليك قط .

ـ لم تكتب الى قط ؟

وسرعان ما اتخذ فاران ، بحكم الغريزة ، اهبة
للدفاع .. لا ضد المالى ، وانما ضد ذلك العدو
المجهول الذى جره الى هذا الكمين .. وللمرة الثا...
تحولت انظاره الينا ، وما لبث ان خطا خطوة سريعة
نحو الباب .

فاعترض مسيو اندرمات طريقه قائلا :

ـ ماذا تريد ان تفعل يا فاران ؟

ـ اننى ارى فى هذا اكثر مما تراه العين .. ولست
احب ذلك .. ولهذا سانصرف .

ـ كلا .. كلا

ـ اسمع يا مسيو اندرمات .. انى انصح لك
بان ...

ـ لن تخرج من هنا .

ـ سوف ترى .

قال فاران هاتين الكلمتين فى غضب شديد
جفلت له نفس مدام اندرمات ، واسرعت تغطى فمها
لتكتم صيحة الذعر التى كادت تفلت منها ..
ولا ريب أن فاران سمع هذا الصوت الخافت ، اذ نظر
صوبنا فى عجلة واسرع نحو الباب يهم بالفرار .

غير أن مسيو اندرمات اعترض سبيله ودفعه الى
داخل الحجرة دفعة شديدة .. وعندئذ رايت الرجل
يدس يده فى جيبه الخارجي ، وهو يقول :

ـ اننى انذرك لآخر مرة .

ـ الخطابات اولا .

فاخرج فاران مسدسه وصوبه نحوه قائلا :

ـ نعم ام لا ؟

وفى الحال اسرع المالى ينحنى الى الارض .

وانبعث طلق نارى .. وعلى اثره سقط المسدس
من يد الرجل .. واصم الدوى مسمعى ؛ فقد اطلقت
الرصاصة من جانبى .. وكان داسبرى هو الذى
اسقط المسدس من يد الفريد فاران .

وفى اللحظة التالية رايته يقف بين الخصمين
مواجها فاران وهو يقول :

ـ انك رجل محظوظ يا صديقى .. فقد صوبت

الرصاصة نحو يدك ، ولكنها اصابت المسدس .

وكان الرجلان يحدقان النظر فيه فى دهشة وهما لا يحيران حراكا .. فاستطرد داسبرى يقول للبطل :

ـ معذرة يا سيدى لتدخلى فيما لا يعنينى .. ولكنك فى الواقع لا تحسن اللعب بالاوراق التى فى يدك ، فدعنى اتولى عنك ذلك .

ثم تحول نحو الآخر قائلا :

ـ والآن يا بنى .. يمكنك ان تستأنف اللعب معى .. ان اوراقى من نوع الكوبا .. وهاك السبعة الرابحة .

ثم رفع الصفحة الحديدية ذات القلوب السبعة الحمراء ، فوضعها تحت انف الغريد فاران فجأة .

ولم ار فى حياتى رجلا يتملكه الفزع الهائل على هذا النحو .. فقد شحب وجه فاران شحوبا شديدا ، وجحظت عيناه حتى خفت أن تخرجا من محجريهما ، وتقلص وجهه كأنه يعانى عذابا لا يطاق .. ثم تراجع الى الخلف مترنحا وهو يغمغم بصوت متحشرج :

ـ من انت ؟

ـ لقد قلت منذ لحظة يا بنى اننى رجل احب التدخل فيما لا يخصنى .. ولكنى اتدخل فى ذلك الى ابعد الحدود .

ـ وما الذى تريده ؟

ـ اريد كل ما احضرته معك .

ـ ولكنى لم احضر معى شيئا .

ـ بل لقد أحضرت كل شىء ، والا لما حضرت قط .. لقد تلقيت هذا الصباح رسالة تدعوك الى الحضور الى هنا فى الساعة التاسعة مساء ومعك جميع الاوراق التى لديك .. فاين هى ؟

وكان فى صوت جان داسبرى ومسلكه ما اثار دهشتى وذهولى .. فان الصرامة والسطوة اللتين اظهرهما آلتا تختلفان كل الاختلاف عما عرفته فيه من البساطة والوداعة .

وفى ذعر طاغ ، اشار فاران الى جيبه قائلا :

ـ ان الاوراق موجودة هنا .

ـ كلها ؟

ـ نعم .

ـ كل الاوراق التى وجدتها بحافظة لويس لاكومب وبعتها للماجور فون لبين ؟

ـ نعم .

ـ هل هى الاوراق الاصلية ام صور منها ؟

ـ الاصلية .

ـ وكم تريد ثمنا لها ؟

ـ مائة الف فرنك .

فانفجر داسبرى قائلا :

ـ هل جننت ؟ .. لقد دفع لك الماجور الألمانى عشرين الفا .. عشرين الفا من الفرنكات ذهبت هباء بعد ان فشلت تجارب الاختراع .

ـ انهم لم يعرفوا كيف يستخدمون الرسوم .

ـ بل لقد كانت الرسوم ناقصة .

ـ ولماذا تطلبها منى اذن ؟

ـ لاننى اريدها .. وسوف اعطيك خمسة آلاف فرنك لا تزيد شيئا .

ـ بل عشرة آلاف لا تنقص شيئا .

ـ حسنا .. اتفقنا .

والتفت داسبرى نحو مسيو اندرمات قائلا :

ـ هل لك أن توقع شيكا بالمبلغ يا سيدى ؟

- ولكن .. ليس معى ...
- دفتر الشيكات الخاص بك .. هاك هو .
فتناول مسيو اندرمات دفتر الشيكات بيد مرتعدة وهو يحدج النظر الى داسبرى كأنه يرى شبحا من الاشباح ، بينما كان يتمتم :
- انه دفترى حقا .. ولكن كيف ؟
- يا سيدى العزيز .. لا تضيع الوقت هباء فى هذه الاعتبارات الثانوية .. وما عليك الا ان توقع الشيك .
فأخرج المالى قلمه وملأ الشيك ووقعه .
وعندئذ مد فاران يده ليتناوله ، ولكن داسبرى اعترضه قائلا وهو يدس الشيك فى جيبه :
- مهلا يا بنى .. اننا لم نفرغ بعد .
ثم قال المالى :
- لقد سمعتك تذكر شيئا عن خطابات تطالب بها .
- نعم .. حزمة من الخطابات الخاصة .
- اين هى يا فاران ؟
- انها ليست عندى .
- قلت لك اين هى ؟
- لست ادرى .. فان اخى هو الذى كان يحتفظ بهـا .
- انها مخبأة هنا .. فى هذه الحجرة .
- ومن اين لى ان اعرف ؟
- الست انت الذى اكتشفت المخبأ السرى ؟ .. انك تبدو عليما ببواطن الامور ، مثلك مثل **سلفاتور** .
- ولكن الخطابات ليست فى المخبأ السرى .
- انها هناك .
- افتحه اذن .

فلاحت فى وجه فاران لمحة من الشك .. ترى هل داسبرى وسلفاتور شخص واحد كما توحى جميع الظواهر ؟ .. اذا كان الأمر كذلك فانه لا يجازف بالكشف عن المخبأ السرى ما دام هذا الرجل يعرفه .. ولكن اذا ...
وعاد داسبرى يردد فى صراحة :
- افتحه اذن .
- ليس معى « **سبعة الكوبا** » .
- بلى .. هاك واحدة .
وقدم اليه الصفحة الحديدية .. ولكن فاران تراجع الى الخلف مذعورا وهو يصيح :
- كلا .. كلا .. انى لن امسها .
- حسنا .. كما تشاء .
ومضى داسبرى نحو تمثال الامبراطور ، وصعد فوق المقعد ثم وضع الصفحة الحديدية فوق نصل السيف ملاصقا للمقبض تماما بحيث طابقت اطرافها حواف النصل ، وراح يضغط بمسمار صغير خلال الثقوب السبعة فوق الرءوس الدقيقة الناتئة فى الرخام .. وما ان ضغط النتوء السابع حتى سمعنا صوت قفل معدنى ينفتح ، واذا بصدر الامبراطور يدور حول نفسه كاشفا عن فضاء مجوف خلفه مبطن بالصلب كالخزائن الحديدية ويحوى رفين من المعدن اللامع .. ثم قال داسبرى :
- ارأيت يا فاران .. ان الخزانة خالية .
- تماما .. ولا ريب ان اخى قد اخذ الخطابات منهـا .
فسار داسبرى نحوه وهو يقول :

- لا تحاول التغرير بى .. هناك مخبأ سرى آخر .. فأين هو ؟
- لا يوجد شىء كذلك .
- لعلك تطمع فى المزيد من النقود .. فكم تريد ؟
- عشرة الاف فرنك .
- هل تساوى هـذه الخطابات عشرة آلاف فرنك فى نظرك يا مسيو اندرمات ؟
فقال المالى فى صوت ثابت : نعم .
وعندئذ اغلق فاران الخزانة ، وأخذ السبعة الكويا الحديدية فى نفور واضح ، ثم وضعها على النخل فى الموضع نفسه ، وراح يضغط بالمسمار خلال الثقوب السبعة على التوالى وسمعنا الصليل المعدنى من جديد ، ولكننا لم نتوقع ما رأيناه هذه المرة .. فقد تحرك جزء صغير فقط من الخزانة كاشفا عن خزانة صغيرة تقع فى فراغ الباب السميك للخزانة الكبرى .
وكانت الخطابات موضوعة بداخلها وقد ربطت بشريط وختمت بالشمع الأحمر ، فقدمها فاران الى داسبرى الذى قال :
- وهل احضرت المستند الذى تركه عندك لويس لاكومب والذى يتمم تصميم الغواصة ؟
- نعم .
- هل اعددت الشيك يا مسيو اندرمات ؟
- نعم .
وسرعان ما تم تبادل الاوراق فدس داسبرى الشيك الثانى والمستند فى جيبه ، ثم قدم حزمة الخطابات الى مسيو اندرمات قائلا :
- هاك ما كنت تريده يا سيدى .

فتردد المالى لحظة كأنما ينفر من لمس هذه الصفحات المسمومة التى كان يتلهف على الحصول عليها .. واخيرا تناولها فى نفور واشمئزاز .
وعندئذ سمعت بجانبى تنهدا عميقا خافتا .. فلما امسكت بيد مدام أندرمات ، اذا بها باردة كالجليد .
وقال داسبرى للمالى : احسب ياسيدى أن حديثنا قد انتهى .. كلا .. ارجوك الا تشكرنى . فالصدفة وحدها هى التى أتاحت لى ان اسدى اليك هذه الخدمة .
فانصرف اندرمات يحمل معه خطابات زوجته الغرامية الى لويس لاكومب .
وصاح داسبرى فى جذل بعد خروجه : عظيم .. لقد سار كل شىء على ما يرام .. ولم يبق الا ان نتفق على ما يهمنا يا بنى .. اين الأوراق ؟
- انهاكلها هنا .. خذها .
فاخذها داسبرى وراح يفحصها فى امعان ، وما لبث أن وضعها فى جيبه وهو يقول :
- حسنا .. لقد وفيت بوعدك يا صديقى ،
- ولكن .. — لكن ماذا ؟
- النقود .. الشيكان ؟
- يا لك من مخلوق عجيب .. هل تجرؤ على المطالبة بشىء ؟
- اننى اطالب بما يخصنى .
- هل تعنى انك تستحق شيئا مقابل الاوراق التى سرقتها ؟
فخرج الرجل عن طوره وراح يهتز من فرط الغضب وقد احتقنت عيناه بالدماء وهو يصيح :
- أعطنى نقودى .. العشرين الف فرنك .

– انها خارجة عن موضوعنا .. فقد أخذتها لنفسى.
– تقودى .. نقودى .

– اهـدا يا بنى وكن اكثر تعقـلا .. ثم دع هـذا الخنجر من يدك .

واسرع بالقبض على ذراعه فى عنف بالغ جعل الرجل يزار من الالم . ثم استطرد قائلا :

– انصرف يا بنى وسوف يفيدك الهـواء الطلق فى الخـارج كثيرا .. ام تراك تحب ان أصحبك حتى الباب مودعا .. سوف أسير معك فى الارض الفضاء المجاورة لهذا المنزل حتى نبلغ ركنا معينا به كومة من الاحجار والاتربة . حتى اذا ما رفعتها وجدت تحتها .. ولعلك تذكر ان لويس لاكومب كان يحملها معه دواما .. وقـد تركتماها انت واخـوك ، مع جثته عنـدما دافنتماها هناك .. كما تركتما اشياء أخرى قد يهتم بها رجال البوليس كثيرا .

فغطى فاران عينيه بيديه المرتعشتين ، وغمغم يقول :

– حسنا .. لقد غلبت على امرى .. فلنكف عن هذا الحديث .. ولكن لى كلمة واحدة ، كلمة واحدة فقط .. فانى اود ان اعرف ..

– ما الذى تود ان تعرفه ؟

– لقد كان فى هـذه الخزانة صندوق من الصلب .. فى الخزانة الكبرى .. فهل وجدته عندما حضرت الى هنا فى ليلة الثانى والعشرين من شهر يونو ؟

– نعم ..

– وماذا كان به ؟

– كل ما وضعه الاخوان فاران فيه .. مجمـوعة طيبة من الجواهر والمـاسـات واللآلىء التى جمعهـا الاخوان طوال حياة اللصوصية التى كانا يعيشانها .

– وهل اخذتها لنفسك ؟

– يا الهى ! . ما الذى كنت تفعـله لو انـك كنت مكـانى ؟

– اذن فقد كان اكتشـاف ضياع الصندوق هـو الذى دفع اخى الى الانتحار !

– ربما .. فان اختفاء مراسلاتكما مع الماجور فون ليبين ما كان ليدفعه الى قتل نفسـه .. ولكن صندوق المجوهرات شىء آخر .. هل هذا كل ما تريد معرفته ؟

– بل هناك شىء آخر .. من انت ؟

– انك تقول ذلك كما لو كنت تفكر فى الانتقام ؟

– تمـاما .. فالدهـر قلب .. واذا كان الحظ حليفك اليوم فهو غدا ...

– قد يكون حليفك انت ؟

– ارجو ذلك .. والآن ما اسمك ؟

– ارسين لوبين .

– ارسين لوبين ؟!

وارتد الرجل فجأة الى الخلف كانما اصابته لطمة عنيفة على ناصيته .. فقد اطاحت هاتان الكلمتان بآماله وامانيه .

وقهقه دانسيرى ضاحكا وهو يقول : آه .. هـل كنت تحسب أن شخصا عاديا هو الذى دبر هـذه الخطة البـارعة ؟ . كلا يا صديقى .. ما كان احد ليستطيع ذلك الا ان يكون ارسين لوبين على الاقل . والآن وقد عرفت كل ما تود معرفته فاذهب واعـد عدتك للانتقـام .. وسوف تجـد ارسين لوبين فى انتظارك .

ثم دفع المنكود الى خارج الحجرة دون ان يضيف الى ذلك حرفا واحدا .

جذبت الستار فجأة وصحت أهتف به ، وما زلت فى غمار دهشتى أدعوه بالاسم الذى عرفته به :

– داسبرى .. داسبرى .

فأسرع نحوى قائلا : ماذا هنالك .. ما الخبر .

– مدام أندرمات .. لقد أغمى عليها ..

فخف الى جوارها وأدنى من أنفها زجاجة صغيرة من الأملاح المنعشة وهو يسألنى : ولكن ماذا أصابها ؟ ماذا حدث ؟

– الخطابات .. الخطابات التى أعطيتها لزوجها .

فضرب بكفه على جبينه وهو يصيح : ماذا .. هل صدقت شيئا من ذلك .. ولكن من أين لها أن تعرف .. يا لى من غبى !!

* * *

وكانت مدام أندرمات قد أفاقت وراحت تصغى اليه فى تلهف .. فأخرج من جيبه حزمة صغيرة تماثل فى كل شىء تلك التى أخذها مسيو أندرمات معه ، وقال :

– هاهى خطاباتك يا سيدتى .. الخطابات الحقيقية .

– ولكن .. الأخرى ؟

– انها تماثل هذه .. ولكنى أعدت كتابتها ليلة أمس بعد أن أبدلت عباراتها فى حرص ودقة .. ولسوف يسر زوجك عندما يقرأها فلا يجد فيها ما يمس كبرياءه وشرفه .. ولن يخطر بباله البتة أنها بخطى .

فراحت تشكره فى حرارة ، وبعبارات تشف عن تقديرها لجميل صنيعه ، كما لو كانت تخاطب رجلا من طبقتها .. فادركت أنها لم تسمع ما دار من حديث بين فاران وأرسين لوبين .

أما أنا فقد جعلت أنظر اليه فى حيرة عظيمة ، ولم أدر ما أقوله لذلك الصديق القديم الذى كشف لى عن حقيقته فجأة وبصورة لم أكن أتوقعها البتة .

لوبين ! .. انه أرسين لوبين .. صديقى وزميلى القديم فى النادى ، لم يكن سوى أرسين لوبين .. انى لا أكاد أصدق ذلك البتة !!

ولكنه كان يضحك فى جذل واطمئنان وهو يقول :

– يمكنك الآن أن تقول وداعا يا جان داسبرى .

– حقا ؟

– نعم .. فسوف يرحل جان داسبرى الى الخارج .. سوف أبعث به الى مراكش حيث يحتمل أن يلقى النهاية الخليقة به !!

– ولكن أرسين لوبين سيبقى ؟

– أحسب ذلك .. ان أرسين لوبين لا يزال فى بداية عمله ومستقبله ، وهو قوى العزم على أن ...

وتملكتنى نزعة لا تقاوم من الفضول ، كانت تجذبنى نحوه .. فأخذته بعيدا عن مدام أندرمات وسألته :

– اذن فقد انتهيت الى معرفة المخبأ السرى التالى الذى كانت به الخطابات ؟

– نعم .. وقد استغرق ذلك منى وقتا طويلا .. فلم أصل اليه الا بعد ظهر الأمس بينما كنت لا تزال فى فراشك .. ومع ذلك كان الأمر أبسط مما يتصوره العقل .

لم ترانى « سبعة الكوبا » وهو يستطرد قائلا :
ـ لقد ادركت انه لكى تفتح الخزانة الكبرى يتعين
ان يضغط داخل الثقوب السبعة بعد وضع الورقة
على النصل سيف الامبراطور .
ـ وكيف ادركت ذلك ؟
ـ هذا امر يسير .. كانت لدى معلومات خاصة
.. وكنت اعرف ذلك عندما حضرت الى هنا ليلة
الثانى والعشرين من شهر يونيو .
ـ بعد أن تركتنى ؟
ـ نعم .. وبعد ان تخيرت حديثى معك بحيث
تجعلك فى حالة من الاضطراب النفسانى ، الذى اذا
الم برجل عصبى المزاج شديد الحساسية مثلك
جعله يدعنى اعمل كما اشاء دون أن يغادر فراشه .
ـ لقد كان استنتاجك صوابا .
ـ حسنا .. كنت اعرف عند قدومى ان هناك
صندوقا من الصلب اخفى فى خزانة ذات قفل سرى
مفتاحه هو « سبعة الكوبا » .. ولم يكن يلزمنى الا
ان اضع ورقة اللعب فى المكان الذى خصص لها ..
فلم تمض ساعة حتى اكتشفت ذلك المكان .
ـ ساعة واحدة ؟
ـ انظر الى تمثال الامبراطور .. انه صورة طبق
الاصل من شارلمان الذى تطبع صورته على (**ملك
الكوبا**) فى ورق اللعب الفرنسى .
ـ يا الهى ! .. انك على حق .. ولكن لماذا تفتح
« **سبعة الكوبا** » الخزانة الكبرى حينا والصغرى حينا
آخر ؟ .. ولماذا فتحت الكبرى فقط اول مرة ؟
ـ لماذا ؟ .. لاننى كنت استخدم الورقة بطريقة

واحدة لا تتغير .. ولكننى بالامس فقط تبينت انها
اذا قلبت بحيث تغدو الاطراف المدببة للقلوب الى
الاعلى بدلا من الاسفل فان مواضع الثقوب تتغير .
ـ هذا طبيعى .
ـ من السهل ان تقول الآن « هذا طبيعى » ..
ولكننى قضيت طويلا فى التفكير فيه .
ـ هناك شىء آخر .. فانك لم تكن تعرف بامر
الخطابات الا بعد ...
ـ الا بعد ان حدثتنى عنها مدام اندرمات ؟ ..
هذا حق .. فانى لم اجد فى الخزانة الكبرى سوى
صندوق المجوهرات والمراسلات الخاصة بالاخوين
داران ، وهى التى ارشدتنى الى خيانتهما .
ـ بل صحيح كل الصحة .. فقد احضرت تلك
الصفحة المعدنية ذات الثقوب السبعة من هناك ..
ـ معنى ذلك انك لم تعرف بامر هذه الخيانة ، ولم
تدرك قصة الاخوين ، فرحت تنشر الرسوم
والمستندات الخاصة بالغواصة ، الا عن طريق
الصدفة ؟
ـ الصدفة المجردة .
ـ ولكن ماذا كان هدفك من كل هذا البحث
والتنقيب ؟
فقاطعنى « داسبرى » ضاحكا وهو يقول :
ـ ليغفر الله لك يا بنى .. هل يهمك هذا الأمر
كثيرا ؟
ـ انه يهمنى الى حد الجنون .
ـ حسنا .. دعنى اولا ارافق مدام اندرمات الى
منزلها ، ثم ابعث رسولا الى صحيفة (**صوت فرنسا**)

رسالة قصيرة .. وسوف أعود اليك بعد ذلك لأحدثك بكل التفاصيل .

وجلس الى المنضدة فسطر احدى تلك الرسائل العالمية التى كانت تنم عن خياله الخصيب .. ولعل الناس جميعا يذكرون الضجة التى قوبلت بها تلك الرسالة فى جميع أرجاء العالم ، عند نشرها :

« لقد استطاع ارسين لوبين أن يحل اللغز الذى طرحه « سلفاتور » على بساط البحث .. وقد امكنه ان يحصل على الرسوم والمستندات الأصلية للغواصة التى اخترعها المهندس الشاب لويس لاكومب ، وبعث بها الى وزير البحرية .. وفضلا عن ذلك فان ارسين لوبين قد فتح اكتتابا لاهداء الحكومة اول غواصة تبنى وفقا لهذه الرسوم ، وافتتح هو نفسه قائمة الاكتتاب متبرعا بعشرين الفا من الفرنكات » .

فلما أطلعنى على تلك الرسالة بعد أن كتبها ، صحت قائلا :

— العشرون الفا التى كتب اندرمات شيكين بها !

— تماما .. فقد كان ينبغى ان يكفر فاران اخيرا عن جانب من خيانته .

* * *

وهكذا كانت اول معرفتى بأرسين لوبين .. وهكذا ايضا كانت اول معرفتى أن جان داسبرى ، صديقى الحميم ورفيقى فى النادى وفى المجتمع ، لم يكن غير **ارسين لوبين .. اللص الظريف !!**

وهكذا اخيرا نشأت صلة وثيقة الوشائج من الود والصداقة بين ذلك الرجل العظيم وبينى ، جعلته يشرفنى بثقته ، حتى غدوت مترجم حياته الأمين .

القسم الثانى

القبض على ارسين لوبين

كانت رحلة من اعجب الرحلات وأشدها غرابة .. ومع ذلك فقد بدأت كخير ما تبدأ به رحلة فى المحيط .. وانني من جانبي لم استمتع قط برحلة بدأت مثل هذه البداية الطيبة .. فقد كانت الباخرة بروفانس، احدى عابرات المحيط العظيمات ، باخرة تجمع بين السرعة والراحة التامة والفخامة ، يتولى امرها ربان وملاحون من أعظم الرجال دربة ومهارة .

وكان المسافرون بالدرجة الأولى من النخبة المختارة ، وسرعان ما تم التعارف بيننا ، وبدأنا ننظم وسائل التسلية والسمر التى نمضى بها وقت السفر .. فان ذلك الشعور العذب بأننا قد انقطعنا عن العالم ، وكأننا فوق جزيرة منعزلة ، قد خلق بيننا جو من التقارب والصداقة .. وتلك الظاهرة الغريبة فى الأسفار البعيدة المدى .. فهؤلاء الناس الذين لم ير احدهم الآخر قط قبل الأمس ، تجمعهم الآن رابطة واحدة من العيش معا خلال الأيام القليلة القادمة ، بين سماء لا نهاية لها ، وأمواج صاخبة متلاطمة ، ورياح تنزع الى الخير حينا والى الشر والقسوة حينا آخر .

ولكن المدنية الحديثة لم تدعنا فى عزلة تامة كما كان أسلافنا فى أسفارهم .

كان التلغراف اللاسلكى يصلنا بالأرض التى حسبنا اننا قد انقطعنا عنها .. وهكذا كنا نشعر منذ البداية ان ذلك الصوت البعيد يتبعنا ، ويسير فى ركابنا ، بل ويسبقنا الى الأرض التى لن نراها الا بعد ايام طويلة

.. ذلك الصوت الذى يحمل الينا على متن الاثير ، بين آونة وأخرى ؛ كلمات قليلة من احبابنا الذين خلفناهم فى القارة ، او اولئك الذين ينتظروننا فى قد استبدلت بعد ان تم كل شىء امامه وتحت نظره .

وكانت مدام اندرومات مشدوهة لا تقوى على النطق .. ولكنها غمغمت : والخط ؟ . سوف لا يجدها أمريكا .

ولكنه قد يحمل الينا فى الوقت نفسه الارزاء والنائب ..

وهكذا حدث — بعد ظهر اليوم التالى لرحلتنا — وكان الجو عاصفا والرياح تزمجر حولنا وتتلاعب بالباخرة العظيمة بين الامواج الصاخبة ، وكنا قد ابتعدنا زهاء خمسمائة ميل عن الشاطىء الفرنسى — ان حمل الينا التلغراف اللاسلكى هذه الرسالة :

« ارسين لوبين على ظهر باخرتكم .. بالدرجة الاولى .. اشقر الشعر مصاب بجرح فى ساعده الايمن .. ويسافر وحده متنكرا باسم ر ... » .

ولم يكمل الاسم .. اذ فى هذه اللحظة بالذات ، انقضت صاعقة هائلة من المحيط ، ودوى قصف انفجارها فقطع الامواج الكهربائية التى تحمل الرسالة وبذلك لم يصلنا الجزء الاخير منها .. ولم نعرف سوى الحرف الاول من الاسم الذى يخفى وراءه ارسين لوبين شخصيته الحقيقية .

❊ ❊ ❊

ولو ان هذه الرسالة البرقية كانت تحمل انباء اخرى لظل امرها سرا بين الربان وضباطه وعمال اللاسلكى فى الباخرة .. ولكن هناك اشياء معينة لا

يمكن ان تظل طى الكتمان .. وكذلك لم ينقض اليوم حتى عرفنا جميعا ، دون ان يدرى احد كيف انتشرت هذه الشائعة ، ان ارسين لوبين الشهير يختفى وسطنا .

❊ ❊ ❊

ارسين لوبين بيننا

ذلك اللص الغامض الذى ظلت انباء سطوه على المنازل والقصور تذاع فى صحف العالم شهورا متتالية .

تلك الشخصية المحيرة التى اشتبك معها جانيمار، اعظم رجال شرطتنا قاطبة ، فى ذلك الصراع الذى كانت حلقاته المتتابعة تذاع بين الناس على صورة عجيبة مسلية .

ارسين لوبين .. اللص الظريف الذى سطا ذات ليلة على قصر البارون شورمان ثم انصرف صفر اليدين بعد ان ترك بطاقته وعليها هذه الكلمات :

ارسين لوبين

سوف يعود عندما تكون تحفك غير زائفة

ارسين لوبين .. الرجل ذو الالف شكل وهيئة .. والذى يبدو كسائق سيارة ، او مغن فى الاوبرا ، او بائع كتب قديمة ، ويظهر كفتى حدث ، او شاب غرير ، أو كهل اشيب ، وهو احيانا حمال من مرسيليا ، او طبيب روسى ، او مصارع ثيران اسبانى.

تصور موقفنا ! .

ارسين لوبين يجول فى تلك الباخرة المحدودة المعالم .. كلا .. بل فى ذلك الحيز الضيق الخاص بالدرجة الاولى ، حيث قد يلقاه المرء فى اية لحظة .. فى

الصالون او قاعة المدخنين ، او حجرة الانتظار .. بل ان ارسين لوبين قد يكون ذلك السيد الذى يسير هناك .. او الذى يجلس امامك .. او جارك على المائدة .. او نزيل المقصورة المجاورة لمقصورتك .

* * *

وفى اليوم التالى صاحت مس ليلى الدرداون تقول :

ــ هذا مريع .. تصور ان هذه الحالة ستدوم خمسة ايام اخرى .. شد ما اود ان يقبضوا عليه .

ثم تحولت نحوى واردفت :

ــ انك صديق الربان يا مسيو داندريزى .. افلم تسمع شيئا جديدا ؟

وشد ما وددت لو اننى سمعت بجديد .. ولو لمجرد ارضاء مس الدرداون .. فقد كانت من تلك النساء اللواتى يصبحن محط الانظار اينما حللن .. وكان جمالها لايقل ثروة عن اموالها ، ومن ثم كان يتبعها دائما رتل من المعجبين .

وكانت قد أتمت دراستها فى باريس حيث ارسلتها امها الفرنسية الاصل ، وها هى ذى تعود الى شيكاغو لتلحق بابيها مستر الدرداون المليونير الامريكى المعروف .. تصحبها سيدة عجوز هى اللادى جيرلاند ، لتعنى بامرها اثناء الرحلة .

ولم اكن قد اوليتها كبير اهتمام بادىء ذى بدء .. ولكن ما كدنا نبتعد عن اليابسة حتى استحوذ سحرها وجمالها على لبى ، وما لبثت ان وجدت عاطفتى نحوها تتعدى حدود الغزل العابر ، وفؤادى يخفق فى عنف كلما التقت عيناى بعينيها السوداوين العميقتين .. ولقد تلقت عاطفتى بالكثير من الاهتمام والحرارة ،

وسارت تضحك لنكاتى الفكاهية وتهتم بسماع قصصى المسلية .. ولعلنى لا أعدو الصواب اذا قلت ان قلبها قد بدا يستجيب لنداء العاطفة التى كانت تفيض منى عليها .

غير ان منافسا واحدا هو الذى كان يثير قلقى وتوجسى .. وهو شاب بهى الطلعة رشيق الهندام كثير التحفظ ، كان صمته الدائم يستجلب اهتمام الفتاة فى كثير من الاحيان اكثر من مرحى الصاخب واساليبى الباريسية .

وقد تصادف ان كان هذا الشاب من ضمن الحاشية التى تحيط بمس الدرداون فى اللحظة التى خاطبتنى فيها بهذه العبارات .. وكنا وقتئذ نجلس فى مقاعدنا المريحة المستطيلة فوق سطح الباخرة بعد أن صفا الجو وانقشعت السحب وزال اثر العاصفة التى ثارت فى اليوم السابق .. وبالاجمال فقد كانت امسية جميلة حقا .

واجبت قائلا :

ــ اننى لم اسمع شيئا معينا على وجه التحديد .. ولكن لماذا لا نشرع نحن فى جلاء هذا اللغز والقيام بتحرياتنا كما كان خليقا بجانيمار ان يفعل .. جانيمار عدو ارسين لوبين اللدود ، لو كان معنا ؟

ــ آه .. أراك تذهب شوطا بعيدا .

ــ لماذا .. هل المشكلة معقدة الى هذا الحد ؟

ــ الى ابعد حدود التعقد .

ــ انك تقولين ذلك اذ نسيت البيانات التى لدينا والتى تسهل لنا مهمة حلها .

ــ اية بيانات ؟

– ان ارسين لوبين بادىء ذى بدء ، يسافر متنكرا تحت اسم مسيو « ر . . . » .

– هذا بيان غامض .

– وهو ثانيا ، يسافر بمفرده .

– هل تحسب هذا بيانا كافيا !

– وهو الى جانب ذلك اشقر الشعر .. فاننا لا نحتاج الى اكثر من مراجعة قائمة اسماء المسافرين بالدرجة الاولى ثم نبدأ فى تصفيتها .

وكنت احمل صورة من القائمة فى جيبى فاخرجتها ورحت اتاملها برهة ثم قلت :

– ارى انه لا يوجد سوى ثلاثة عشر راكبا تبدا اسماؤهم بحرف الراء .. منهم تسعة تصحبهم زوجاتهم واطفالهم .. وبذلك لا يبقى الا اربعة فقط يسافرون منفردين .. المركيز دى رافردان ...

فقاطعتنى مس اندرداون قائلة :

– انى اعرفه .. فهو سكرتير سفارة .

– والماجور راوسون .

فقال احد الحضور : انه عمى .

– والسنيور ريفولتا ...

فصاح صائح : ها انذا .. ثم رفع راسه ، فاذا به رجل ايطالى يتوارى وجهه خلف لحية عظيمة حالكة السواد لا يمكن ان تكون مستعارة .

وانبعثت من اندرداون قهقهة بصلة فيها وهى تقول :

– ان هذا السيد ليس ذهبى الشعر تماما .

واستطردت قائلة :

– وعلى ذلك يتعين علينا ان نفرض ان المجرم هو آخر شخص فى القائمة .

– ومن هو ؟

– شخص يدعى مسيو روزين .. هل يعرف احد مسيو روزين هذا ؟

فلم يجب احد .. ولكن مس اندرداون تحولت الى الشاب الصموت الذى كانت مواظبته على الجلوس بجوارها تضايقنى اشد المضايقة ، وقالت :

– حسنا يا مسيو روزين .. اليس لديك ماتقوله ؟

فتطلعت عيون الحاضرين جميعا نحو الشاب .. وعندئذ تبين لنا انه اشقر الشعر .

والحق اننى احسست بشعور من الضيق يخالجنى لهذه المفاجأة .. وكان الصمت الثقيل الذى خيم علينا ينبىء بان الحاضرين جميعا شاركوانى هذا الشعور .. وكان الموقف حرجا على اية حال ، اذ لم يكن فى مسلك الشاب ما يبرر ريبتنا فيه .

واخيرا غمغم يقول :

– وماذا يمكن ان اقول يا سيدتى العزيزة .

حسنا .. اذا نظرنا الى ان اسمى يبدا بحرف الراء واننى اشقر الشعر واسافر منفردا ؛ فان رايى يتفق مع آرائكم التى لا تقوون على الافصاح عنها .. وهو انه ينبغى القاء القبض على فى الحال ! .

وكان وجهه قد اكتسى لمحة غريبة وهو ينطق بهذه الكلمات .. وازداد محياه وشفتاه شحوبا واحتقانا على حين احتقنت عيناه بالدماء .

وما من ريب فى انه كان يسخر منا .. ومع ذلك الوت لهجته وانفعاله شفقتنا جميعا .. وسالته مس اندرداون :

– ولكن هل يوجد جرح بساعدك ؟

ـ أصبت .. أن الجرح وحده هو الذى ينغصنى .
وفى حركة عصبية راح يرفع كمه ويكشف عن ذراعه .. فرأيناه جميعا سليما خاليا من أى جرح .

ولكن فكرة طارئة خطرت لى فجأة . فقد كشف الشاب عن ساعده الأيسر لا الأيمن .. ولعل الفكرة قد خطرت لمس اندرداون أيضا اذ تطلعت نحوى والتقت عيناها بعينى .

ولقد هممت بأن ابدى هذه الملاحظة عندما حدث أمر اجتذب انتباهنا جميعا .. فقد جاءت اللادى جيرلاند ، مصاحبة مس اندرداون ، تعدو نحونا فى انفعال شديد .. وتجمع المسافرون حولها يسألونها عن جلية الخبر ، فبذلت جهدا شديدا قبل أن تستيع التعلق فى صوت يشبه العويل :

ـ جواهرى .. لآلئى .. لقد سرقت جميعها .

كلا .. لم تسرق جميعها ، كما ادركنا فيما بعد .. فالواقع أنه كانت فى هذه السرقة ظاهرة عجيبة ، اذ ان اللص قد انتقى ما يريد انتقاءه . كان قد ترك الحلى نفسها ، ولكن بعد أن نزع منها أثمن ما فيها من ماسات ويواقيت ولآليء ، واحجار كريمة مختلفة .. كان قد انتقى كل نفيس غال مما يخف حمله ويسهل اخفاؤه .. اما الحلى فقد تركها فوق المنضدة .. وقد رأيتها بنفسى بعد ذلك ، كما رأيناها جميعا ، فأثر فينا مرآها كل التأثير .

ومن عجب أن اللص الجرىء قد استطاع فى وضح النهار ، منتهزا فرصة تناول اللادى جيرلاند الشاى ، أن يقتحم باب المقصورة ، وهو يقع فى ممر مطروق . وأن يكتشف مكان حقيبة المجوهرات التى كانت مخبأة

فى قاع صندوق كبير للأمتعة ، ثم يفتحها بعد ذلك وينتقى ما يشاء منها .

كانت جرأة منقطعة النظير .. وقد انبعثت منا جميعا صيحات الدهشة والاستغراب .. ! ولم يكن حديث المسافرين بعد اكتشاف السرقة الا أن أوسين لوبين هو السارق .. والواقع أنها قد ارتكبت بطريقته المعقدة الغامضة ، التى لا يكاد يصدقها العقل .. وهى مع ذلك طريقة تنطوى على الحكمة والتبصر كما اعترفنا جميعا .. لقد كان من العسير عليه أن يخفى الحلى بأسرها ، على عكس الحجارة الكريمة نفسها ، فمن السهل أن يخفيها فى أى مكان .

❊ ❊ ❊

وعند تناول العشاء ظل المقعدان المجاوران لمسيو روزين خاليين .. وفى المساء علمنا أن الربان قد أرسل فى طلبه .

❊ ❊ ❊

ولم يشك احد فى انه سوف يقبض عليه ، فكان ذلك مدعاة للارتياح العام .. وشعرنا أخيرا باننا نستطيع ان نتنفس الصعداء .. ومن ثم رحنا نلعب ونمرح ونرقص طوال السهرة ، وقد هدأ روعنا وسكن جأشنا .. ولاحظت ان مس اندرداون ـ على الأخص ـ كانت بادية المرح والسرور ، مما جعلنى ادرك أنها لم تعد تفكر فى تودد روزين اليها .. وفى تلك الليلة غدوت بكليتى اسير سحرها وفتنتها .. فلما انتصف الليل ، وتوسط القمر كبد السماء ، مرسلا فى الأفق ضياءه الفضى . اعربت لها فى عاطفة جياشة عن حبى لها ، واعجابى بها .. فلم يبد

تفورا ، ولم تصم اذنيها عن سماعي .

***

وشد ما كانت دهشتنا في اليوم التالي عندما علمنا ان الشكوك التي حامت حول روزين لم تكن كافية للقبض عليه ، ومن ثم اطلق سراحه .. وقيل انه ابن اخت تاجر غني من بوردو ، وانه قدم أوراقا صحيحة تثبت شخصيته .. كما ان ذراعيه كانتا خاليتين من اى اثر للجروح .

وصاح خصوم روزين :

ـ ما قيمة الاوراق وشهادات الميلاد .. ان ارسين لوبين يستطيع ان يقدم منها العشرات . فتبدو كلها صحيحة لا شائبة فيها .. اما عدم وجود جرح في ساعده فيدل على انه لم يكن اية جرح البتة .. او أنه قد ازال كل اثر له .

وذكر بعض المسافرين انه في الوقت الذى ارتكبت فيه السرقة كان روزين يتمشى على سطح الباخرة . والواقع انه قد امكن اثبات ذلك . ولكن الآخرين قالوا انه مع شخص كارسين لوبين لا يحتاج الامر الى وجود السارق في محل الجريمة .. واخيرا وبغض النظر عن جميع الاعتبارات الاخرى . فقد كانت هناك نقطة واحدة لا يستطيع اقوى انصار روزين ان يعترض عليها بكلمة .. فمن غير روزين يسافر منفردا ويبدأ اسم اوله حرف الراء .. وله شعر اشقر .. من غير روزين تنطبق اوصافه على ما جاء في البرقية اللاسلكية ؟

***

وعندما دنا روزين من جماعتنا في شجاعة ، قبل

الغداء بدقائق معدودة ، نهضت اللادي جيرلاند ومس نيللي ودالون وسارتا بعيدا دون ان تلقيا عليه نظرة واحدة .

وكان السبب لا يعدو مجرد الفزع والذعر من مرآه .

***

وبعد ساعة واحدة ، كانت نشرة مكتوبة بخط اليد تتداول بين موظفي الباخرة وعمالها وملاحيها وركابها جميعا .. كان مسيو لويس روزين يعد بجائزة قدرها عشرة آلاف فرنك لمن يستطيع ان يكشف القناع عن ارسين لوبين .. او يكشف من في حوزته الجواهر المسروقة .. وقد قال روزين للربان :

ـ فاذا لم يساعدني احد ضد هذا الوغد .. فسوف اتولى معالجة الامر بنفسي .

***

وكان الصراع بين روزين وارسين لوبين ـ او كما قال احد الظرفاء : بين أرسين لوبين وارسين لوبين نفسه ـ لا يخلو من الظرافة !!

وقد دام هذا الصراع يومين كان روزين يشاهد خلالهما وهو يجول في انحاء الباخرة يمنة ويسرة ، ويخالط الملاحين ويستجوب كل من يقع في يده من الركاب او الموظفين .. بل ان شبحه كان يرى اثناء الليل خلال طوافه بكل مكان .

***

واتخذ الربان من ناحيته اجراءات سريعة حاسمة .. فقد أمر بتفتيش السفينة من مقدمها الى مؤخرتها .. فلم يترك ركنا او عقدة من الحبال لم يفتشها ..

بل لقد فتش كل ركن فى مقاصير الركاب وحقائبهم وامتعتهم ، دون استثناء ، بحجة ان الجواهر المسروقة قد اخفيت بغير شك فى مكان ما .. فى اى مكان غير مقصورة السارق نفسه .

وقالت لى مس ألدرداون :

— لا شك فى انهم سوف ينتهون الى العثور على شىء ما .. فمهما كان هذا الرجل ساحرا الا انه لا يستطيع ان يحيل اللآلىء والماسات الى اثير شفاف لا يرى .

فاجبتها :

— لا ريب انهم سيجدون شيئا .. والا فسوف يضطرون الى تفتيش بطانة قبعاتنا او اى شىء نحمله معنا .

ثم اشرت الى آلة التصوير التى اعلقها فوق منكبى ، والتى لم اكف لحظة عن استخدامها فى التقاط الصور العديدة التى تمثلها فى كافة الاوضاع ، واستطردت اقول :

— وحتى مثل هذه الآلة الصغيرة ، فانه يوجد بها مكان يتسع لجواهر الليدى جيرلاند جميعها .. وما عليك الا أن تتظاهرى بالتقاط الصور بينما يتم لك الأمر كما تهوين .

— ومع ذلك فقد سمعت أن كل لص لا بد ان يترك اثرا معينا وراءه .

— هناك من لا يفعل ذلك قط .. ارسين لوبين .

— لماذا ؟

— لانه لا يفكر فى الجريمة التى يرتكبها فحسب ، بل فى جميع الظروف او الاحتمالات التى يمكن أن تتم

عليه .

— لقد كنت اكثر تفاؤلا فى بادىء الامر !

— ذلك لاننى لم اكن قد رأيته يعمل حينئذ .

— اذن فانت تعتقد ...

— اعتقد اننا نضيع الوقت سدى .

***

والواقع ان جميع الابحاث والتحريات التى اجريت لم تسفر عن اية نتيجة مثمرة أو على الاقل اسفرت عن نتيجة لا تتفق مع الجهود الجبارة التى بذلها الجميع .. فقد اختفت ساعة الربان ! !

فاشتد به الحنق .. وضاعف من حماسه .. وزاد من الرقابة الصارمة التى فرضها على روزين .. بل لقد استدعاه لمقابلته عدة مرات .

وفى اليوم التالى كانت سخرية الاقدار او سخرية ارسين لوبين قد بلغت الذروة !

لقد وجدت ساعة الربان بين ياقات الضابط الثانى .

وكانت الامور العجيبة الخارقة تشير جميعها الى مهارة اللص الخارقة .. والى جانب ذلك تنم عن ذوق فنى رائع .. كان ارسين لوبين يؤدى عمله لا فى سبيل العيش فحسب ، وانما يتخذ منه ملهاة وتسلية .

اجل .. كان لوبين فنانا بارعا فى مهنته .. وكلما وقعت انظارى على روزين فى اكتئابه وعناده معا ، وفكرت فى الدور المزدوج الذى يؤديه هذا المخلوق الغريب ، كنت اعجز عن الحديث عنه دون أن يخالجنى شعور عميق من الاعجاب به .

وفى الليلة السابقة لوصولنا الى امريكا ، سمع

الضابط المنوب أنينا خافتا ينبعث من ركن مظلم على سطح الباخرة .. فاقترب من مصدر الأنين وإذا به يجد رجلا ملقى على الأرض وقد أحيط رأسه بقماش سميك وقيدت يداه بحبل رفيع .

فحلوا وثاقه ورفعوه من مكانه وسقوه شرابا منعشا .. ولم يكن سوى .. روزين .

نعم .. روزين الذى هوجم بغتة أثناء احدى جولاته المعتاد ، وصرع وقيد حراكه وسلبت نقوده !

فقد وجدوا احدى بطاقات الزيارة مثبتة بدبوس على ثيابه وتحمل هذه الكلمات :

« ارسين لوبين يقبل مع الشكر العشرة آلاف فرنك التى تعهد بها مسيو روزين » .

ولكن الحقيقة هى أن حافظة مسيو روزين المسروقة كانت تحوى عشرين الفا من الفرنكات لا عشرة آلاف فقط .

ومن الطبيعى أن يتهم الشاب المنكود بواسطة خصومه بأنه افتعل هذا الاعتداء المزعوم على شخصه . . ولكن بغض النظر عن الحقيقة الواقعة وهى استحالة قيامه بتقييد يديه على هذا النحو ، فقد ثبت أن الخط الذى حررت به البطاقة لا يشبه خط روزين فى شىء .. فى حين أنه يماثل تماما خط ارسين لوبين كما نشر فى احدى الصحف وقد تصادف وجودها فى مكتبة الباخرة .

وهكذا فان روزين لم يكن ارسين لوبين !!

كان روزين هو روزين .. ابن أحد كبار تجار بوردو .

وهكذا أيضا تحقق وجود ارسين لوبين مرة أخرى

من هــذا العمل القاسى الذى كان ضحيته روزين المسكين .

***

وانتشر الذعر طاغيا فى أنحاء الباخرة .. ولم يعد أحد الركاب يجرؤ على البقاء وحده فى غرفته أو التجوال فى الممرات والسطح .. وساد الركاب شعور من الريبة والتوجس حتى حيال أولئك الذين يعرفونهم حق المعرفة .. وكان يخيل الى الجميع أن أى شخص هو أرسين لوبين .. بل أن خيالنا الذى أرهقه الخوف ، جعلنا نعزو اليه قوى خارقة لا حدود لها .. فحسبناه قادرا على أن يبدو فى أى شكل يختاره .. وحسبناه خليقا بأن يظهر حينا متقمصا شخصية الماجور راوسون أو المركيز دى رافردان ، أو غير هذا وذاك من الركاب سواء أكانوا منفردين أم تصحبهم عائلاتهم .

ولم يعد التلغراف اللاسلكى يحمل الينا أية أنباء جديدة .. أو على الأقل لم يخبرنا الربان بأى شىء من هذا القبيل .. وكان هذا الصمت المطبق مما يزيد فى قلقنا .

وبدا لنا اليوم الأخير للرحلة وكأنه لن ينتهى قط .. وكان كل من تحمله الباخرة يتوقع أن تحل به كارثة مروعة .. ولكنها لن تكون مجرد سرقة أو سطو هذه المرة .. ولن تكون مجرد اعتداء بسيط كالذى وقع على روزين ، وانما سوف تكون جريمة رهيبة ، ربما كانت جريمة قتل .. وما كان أحد ليصدق أن ارسين لوبين سوف يقنع بما قام به من عمل .. سرقة جواهر اللادى جيرلاند ونقود مسيو

دوزين ، فهو السيد المسيطر على الباخرة بأسرها ، وهو الذى يفرض ارادته علينا ، ويلهو بنا كما يحب ويهوى ، ويمسك بأموالنا وارواحنا بين يديه .

وانى لأعترف ان هذه الساعات الحرجة كانت تشيع فى نفسى سرورا لاحد له ، فقد اكتسبت منها ثقة نيللى اندرداون ، وكانت تحت تأثير هذه الأهوال تزداد منى دنوا لتنشد بجوارى الحماية التى كنت سعيدا بأن ابسطها عليها .

وكانت فى اعماق قلبى اباركك ارسين لوبين وادعو له ..

أليس هو الذى جمعنى والفتاة معا ؟

أليس هو الذى ادين له بهذه الأحلام السعيدة التى تراودنى فى النوم وفى اليقظة ؟ احلام الغرام ، واحلام اخرى ذات صبغة عملية .

ولماذا لا اعترف بأن آل دانفريزى من النبلاء الذين احنى عليهم الدهر وافتقدهم ثروتهم .. وانه ليس من العار ان ينشد رجل من احفادهم الثروة التى تمكنه من استعادة ذلك المجد الغابر ؟ .

بل ان هذه الأحلام لم تكن لتضايق نيللى نفسها .. وكانت عيناها الضاحكتان ، وصوتها الرقيق ، تغذى آمالى وتشددان من عزيمتى .

ولقد ظللنا جنبا الى جنب حتى اللحظة الاخيرة .

كنا نستند الى السياج فوق سطح الباخرة بينما كان الساحل الأمريكى يزداد اقترابا ووضوحا .

وفى ذلك الوقت كان يسرى فى الباخرة كلها شعور غريب من اللهفة والانتظار .. كان الجميع من الدرجة الأولى الى اعماق الباخرة ينتظرون تلك اللحظة الفاصلة عندما حل هذا اللغز المستغلق ..

من هو ارسين لوبين ؟

وبأى اسم وعلى اية صورة كان ارسين لوبين يجوب انحاء الباخرة ؟ .

ودنت اللحظة الحاسمة .. فلو عشت مائة عام لما غابت عن ذاكرتى ادق تفاصيلها .

قلت للفتاة وهى تزداد التصاقا بى وتسند راسها الى كتفى ، وقد اوشكت ان تغيب عن الصواب :

ـ ما اشد شحوبك يا نيللى .

ـ وانت ايضا .. شد ما تغيرت اخيرا .

ـ ما اعظم ما تؤثر فى نفسى هذه اللحظة الاليمة .. وما اشد سعادتى اذا قضيتها بجوارك .. وانى لأعجب يا عزيزتى نيللى هل تعود بك الذاكرة يوما من الايام الى هذه اللحظة ؟ .

ولكنها لم تكن تستمع لى ..

كانت تلهث فى انفعال وهى تتطلع الى سلم الباخرة وقد ادلى فوق الرصيف .

ولم يسمح لنا بالنزول لتو .. فقد صعد الى الباخرة رجال الجمارك ، والحجر الصحى ، وجوازات السفر ، والبريد .. ثم ثلة من رجال البوليس .

وغمغمت نيللى قائلة :

ـ انى لن اندهش اذا علمت ان ارسين لوبين قد اختفى اثناء الرحلة .

ـ ربما كان قد فضل الموت على العار ، والقى بنفسه فى المحيط الاطلانطى دون الاستسلام للقبض عليه .

فقالت فى ضيق : بالله عليك لا تسخر منه هكذا .

وعندئذ رأيت ما جعلنى اجفل وارتد الى الوراء ، واذ تطلعت نحوى متسائلة قلت :

— هل ترين هذا الكهل القصير الذي يقف عند نهاية السلم ؟ .

— ذلك الذي يرتدي معطفا اخضر ويمسك بمظلة سوداء ؟ .

— نعم .. انه جانيمار .

— جانيمار ؟ .

— اجل .. البوليس السري الشهير الذي اقسم ان يقبض على ارسين لوبين بيده .. لقد فهمت الآن لماذا لم نتلق انباء أخرى على الباخرة فقد كان جانيمار هنا .. وهو لا يطيق أن يرى احدا يتدخل فيما يعده من صميم شؤونه .

— اذن فسوف يقبض على ارسين لوبين حتما ؟ .

— من يدري .. ان جانيمار لم يره قط ، فيما اعتقد ، الا متنكرا .. وما لم يكن يعرف الاسم المستعار الذي ينتحله في هذه الرحلة .

فقاطعتني في لهفة المرأة وفضولها :

— آه .. شدما اود ان ارى كيف يتم اعتقاله !

— صبرا .. فلا ريب ان ارسين لوبين قد لاحظ وجود خصمه اللدود .. ولعله سيكون آخر من ينزل من الركاب بعد ان تكون انظار هذا الكهل قد كلت من التحديق في الوجوه .

وهكذا بقينا في وقفتنا هذه ريثما تتابع سيل المسافرين فوق سلم الباخرة .. وكان جانيمار يستند الى مظلته في غير اكتراث وينظر الى الحشد المحصور بين سياجي السلم بغير مبالاة كأنه لا يحس بوجودهم .. ولاحظت ان احد ضباط الباخرة كان يقف خلفه ويهمس في اذنه بين حين وآخر .

ومر المركيز دي فردان ، والماجور راوسون ، وريفولت الايطالي ... وغيرهم كثيرون .. وعندئذ رأيت روزين يقترب من نهاية السلم ..

يا له من منكود ... انه يبدو كأنه لم يفق بعد من اثر الكوارث التي اصابته في هذه الرحلة .

وقالت نيللي اذ رأته :

— ربما كان هو على أي حال .. فما هو رأيك ؟

— رأيي اننا لو اخذنا صورة له ولجانيمار معا لكانت تحفة نادرة .. هل لك ان تأخذي آلة التصوير وتلتقطي هذه الصورة بدلا مني ؟ ان يدي مليئتان بأشياء أخرى .

وناولتها الآلة ، ولكن بعد ان فات اوان استخدامها فقد سار روزين قدما .. وانحنى الضابط يهمس في اذن جانيمار ، ولكن هذا هز كتفيه في غير اكتراث .. وبذلك مضى روزين الى سبيله .

فمن يكون اذن أرسين لوبين بحق السماء ؟ .

فقالت الفتاة بصوت مرتفع : نعم .. من يكون اذن ؟

ولم يكن قد بقي اكثر من عشرين راكبا .. فتطلعت نيللي صوبهم ، واحدا بعد الآخر ، في تلك الحيرة التي لازمتها اخيرا .. كأنما تخشى الا يكون « **هو** » واحدا واحدا من العشرين ..

وقلت لها :

— اننا لا نستطيع البقاء اكثر من ذلك .

فتقدمت نحو السلم .. وكنت اتبعها .. ولكننا ما كدنا نهبط عشر درجات حتى اعترض جانيمار سبيلنا فهتفت متعجبا :

— ما معنى هذا ؟
— لحظة واحدة يا سيدى . ما سبب هذه العجلة ؟
— انني ارافق تلك السيدة الشابة .
فعاد يقول فى لهجة اكثر صرامة : لحظة واحدة فقط .

وراح يتفرس فى وجهى بامعان شديد وهو يطيل النظر فى عينى .. وما لبث ان قال :
— ارسين لوبين .. فيما اظن ؟
فقهقهت ضاحكا ، وقلت :
— كلا .. بل برنار داندريز بكل بساطة .
— لقد مات برنار داندريز فى مقدنيا منذ ثلاث سنوات .
— لو ان برنار داندريز قد مات لما كنت هنا الآن .. وليس الامر كذلك فى شىء .. هاك اوراقى .
— انها اوراقه هو .. وسوف يسرنى ان اخبرك كيف امكنك الحصول عليها .
— هل جننت .. لقد كان ارسين لوبين يسافر تحت اسم مستعار يبدأ بحرف الراء .
— نعم .. وهذه العوبة اخرى من الاعيبك البارعة .. فقد ضللت رجالى فى فرنسا وجعلتهم يبرقون الى الباخرة بهذه الاكذوبة .. ولعمرى انك لا ينقصك الذكاء ولا الالمعية يا بنى .. ولكن الحظ قد تخلى عنك هذه المرة .. فهيا لوبين ، واثبت انك رياضى تتلقى الهزيمة فى رضى واستسلام .

فترددت لحظة قصيرة .. وعندئذ لطمنى فى رفق على ساعدى الايمن .. فصحت صيحة الم لم استطع كتمانها .. لقد اصاب الوغد ذلك الجرح الدامى الذى جاء ذكره فى تلك البرقية .

ولم يبق امامى بعد ذلك الا ان استسلم صاغرا .. وتحولت صوب مس اندرداون .. فرأيتها تصغى الى هذا الحديث وقد امتقع وجهها فى مثل شحوب الاموات ، وراحت تترنح حيث كانت واقفة .

والتقت عيناها بعينى .. ثم انتقلت نظراتها الى آلة التصوير التى اعطيتها لها على سطح الباخرة ، فبقيت معها .. وما لبثت ان انتفضت بغتة ، واحسست ، بل ايقنت ، انها قد فهمت كل شىء .. نعم .. فبين طيات تلك الآلة الصغيرة التى حرصت على ان اضعها بين يدى مس اندرداون قبل ان اواجه جانيمار كانت تقبع جواهر اللادى جيرلاند ، والعشرون الف فرنك الخاصة بروزين المسكين ! !

واقسم لك اننى فى تلك اللحظة الحاسمة الخطيرة ، وانا واقف بين جانيمار ومساعديه كنت لا اهتم لشىء قط .. القبض على ، والخطر الذى اتعرض له ، وشماتة اعدائى وخصومى .. كل ذلك لم يكن شيئا مذكورا بجانب القرار الذى سوف يستقر عليه رأى نيللى اندرداون حيال آلة التصوير التى تركتها معها ..

ولم يكن ما اخشاه هو ان فيها الدليل المادى الحاسم ضدى .. وانما كل ما كان يشغل عقلى وقتئذ هو هل تقدم لهم نيللى هذا الدليل ام لا ؟ .
هل تخوننى ؟
هل تدمر بيدها كيانى ؟ .

هل يكون موقفها معى موقف العدو الصغير ؟ ام موقف المرأة التى تراودها ذكريات السعادة ، ويخفف من احتقارها ما يهفو به قلبها من العطف والرثاء ؟ .

ومرت تبللى من امامى ، منتصبة القامة ، مرفوعة الرأس .. فانحنيت امامها انحناءا طويلا .. وما لبثت ان اختلطت بالمسافرين وهى توالى هبوط السلم وآلة التصوير ما زالت فى يدها .

وقلت لنفسى :

ـ لا شك أنها خجلت من تقديمها لهم على هـذه الصورة العلنية .. وسوف تسلمها لجانيمار يدا بيد خلال ساعة او نحوها .

ولكنها ما كادت تصل الى نهاية السلم ، حتى تظاهرت بأنها تتعثر فى خطواتها ؛ واسقطت آلة التصوير فى الماء بين جدار الباخرة ورصيف الميناء .

ورحت ارقبها وهى تسير فى طريقها بعيدا .

كان قوامها الرشيق يظهر ويختفى بين جمهرة المحتشدين فى الميناء .. وما لبث ان تلاشى عن عينى الى الأبد .

ولبثت جامدا مكانى برهة طويلة ، فى حزن وأسى ، يمتزج به بين حين وآخر شعور من الحنان والعاطفة .

وكانت دهشة جانيمار بالغة عندما سمعنى اتنهد قائلا :

ـ ليتنى ما ولدت شقيا .

* * *

فى هذه العبارات الجزلة المتدفقة ، راح ارسين لوبين يحدثنى بقصة القبض عليه ؛ ذات ليلة من ليالى الشتاء ... فان المصادفة وسلسلة اخرى من الحوادث التى سبق لى وصفها قد انشأت بيننا رابطة من الصداقة والاخلاص والثقة .

نعم .. لقد شرفنى لوبين بهذه الصلة الوثيقة التى

قامت بيننا ، والتى جعلته بين الحين والآخر يلم بى فجاة ، على غير توقع أو انتظار ، ويحمل الى منزلى الساكن الهادىء ، روحه المرحة الوثابة ، وينشر فيه اشعاعا من حياته الحافلة ونشاطه المتدفق .

ولقد يسألنى سائل ان اصف له ارسين لوبين .. ولكن كيف لى ان اصفه ، وانا الذى رأيته اكثر من عشرين مرة ، كان فى كل منها يختلف كل الاختلاف عن الاخرى .

كنت كل مرة ارى امامى انسانا لا أعرفه حتى يعرفنى بنفسه ، بل لقد قال لى ذات مرة :

ـ اننى نفسى نسيت هيئتى الحقيقية .. وما عدت اعرف نفسى اذا نظرت فى المرآة .

وهذا اغراق منه فى الخيال بلا ريب ، ولكنه يصدق عند اولئك الذين التقوا به ، والذين يجهلون صبره الذى لا ينفد ، وبراعته التى لا تحد ، فى كل ما يختص بتغيير فى شكله ومظهره .. فقد بلغ من المهارة الى الحد الذى يجعله يبدل من مقاييس وجهه ومواضع تقاطيعه .. وكان يقول لى فى ذلك :

ـ لماذا التزم مظهرا واحدا لا يتغير .. ولماذا لا اتحاشى الأخطار التى يتعرض لها كل من تظل شخصيته كما هى .. الا يكفى ان اعمالى نفسها تنم عن شخصيتى بما فيه الكفاية ؟

ثم اضاف فى شىء من الزهو :

ـ اليس الأفضل ان يقول الناس : « **هذا من فعل ارسين لوبين** » لا ان يشيروا الى قائلين : « **هذا هو ارسين لوبين** » ؟ .

القسم الثالث
راس الافعى

نظر الدكتور بونار الى الرجل الجالس امامه مشجعا .

واعتدل الدكتور اورفيلد فى مقعده .. وبدا حديثه ..

كان فى نحو الاربعين من عمره .. وقد وخط الشيب شعره .. وارتسمت فى عينيه الزرقاوين نظرة قلق واسى ..

قال بعد تردد قصير : انما جئتك يا سيدى كزميل يلتمس منك العون .. وقد شجعنى على ذلك ما ذكره لى صديق الدكتور بريسكو عن كرم خلقك وثاقب رايك .. وحسن تقديرك للامور .. اننى لم الجا الى البوليس لانهم لا يستطيعون شيئا فى مثل قضيتى .. بيد ان مرور الايام يزيد الامر تعقيدا وسوءا وانا فى حيرة لا ادرى ماذا يجب ان افعل ..

— ما الذى يزداد سوءا ؟

— الشائعات .. انها تؤلمنى وتقض مضجعى .. وتجعل حياتى لا تطاق .. لقد حدث منذ عام يا سيدى ان توفيت زوجتى .. كانت مريضة منذ عدة اعوام فلما توفيت راح كل انسان يزعم اننى قتلتها بالسم !!

— وهل قتلتها بالسم حقا ؟ — سيدى !!

فابتسم بونار وقال : هدىء روعك .. لنفترض اذن انك لم تقتل زوجتك بالسم .. اين توجد عيادتك ؟ ..

فاجاب الدكتور اورفيلد : ان عيادتى فى (بواسو) وهى منطقة ريفية اشتهر اهلها بالثرثرة والنميمة ، ونشر الشائعات الخبيثة .. ولكن لم يخطر لى ببال

ان يبلغ بهم السوء الى هذا الحد . انك لا تعلم كم اقاسى .. وفى البداية لم اكن اعرف بما يدور حولى .. ولما لاحظت ان الناس يتجنبوننى .. فسرت ذلك بانهم يحرصون على احترام حزنى ولا يريدون ازعاجى .. ولكن نفورهم منى بدا يزداد وضوحا .. فهم يتجنبون مقابلتى ، ويفرون منى الى الجانب الاخر من الطريق .. وكسد عملى .. واحسست بان الناس يتهامسون حولى .. ويرمقوننى بنظرات حقد وكراهة .. وجاءنى خطاب او اثنان ، يتضمنان ابشع الشتائم والاتهامات .

اننى حائر لا اعلم كيف اقاوم هذا الاخطبوط من الشائعات والاتهامات نعم ، كيف يستطيع الانسان ان ينفى نميمة لا يواجه بها صراحة ... الحق اننى عاجز تماما عن الخروج من هذا المازق .

— متى توفيت زوجتك ؟

— منذ عام .. كانت مصابة بقرحة فى المعدة .

— هل اجريت عملية تشريح بعد الوفاة ؟ .

— كلا .. فقد كانت مصابة بهذا المرض منذ مدة طويلة .

فاطرق بونار براسه لحظة ثم قال : ان اعراض الالتهابات المعوية تشبه من كل الوجوه اعراض التسمم بالزرنيخ وهذه حقيقة يعرفها كل انسان فى هذه الايام .

— هل كانت زوجتك اكبر ام اصغر منك سنا ؟

— كانت اسن منى بخمسة اعوام .

— متى تزوجتما ؟ — منذ خمسة عشر عاما .

— هل لى ان القى عليك سؤالا فيه شىء من الفضول ؟

— سل ماتشاء ..

— هل تركت لك ثروة ؟

— نعم .. تركت ما يقرب من ثلاثين الفا من الجنيهات .

— هل كانت الصلة بينك وبين زوجتك على ما يرام ؟

فتردد اورفيلد قليلا ثم قال : الواقع .. الواقع ان زوجتى كانت امرأة حادة الطباع .. ضيقة الصدر بسبب آلامها وقلقها على نفسها .. وقد مرت بنا ايام كانت الحياة فيها لا تطاق .

— هل جئتها بممرضة تعنى بها، او باحد يجالسها ،

— بل جئتها بممرضة كانت تلازمها وتعنى بها ليل نهار .. وهى امرأة رشيدة متزنة لا اظن انها قالت شيئا اقام عليه الناس هذا الصرح الشاهق من الشائعات .

— كل انسان مهما يكن متزنا رشيدا له لسان يتكلم به .. وليس عندى شك فى ان الممرضة تكلمت .. وان الخدم تكلموا وان اللغط كان يدور بك من كل جانب دون ان تشعر . ان البلد الذى تقيم به صغير وجميع عناصر الفضيحة موجودة .. وليس احب الى الناس فى المدن الريفية الصغيرة من فضيحة يتهامسون بها . والآن .. دعنى القى عليك سؤالا آخر .. من هى السيدة ؟ .

فاحمر وجه اورفيلدوقال : لست افهمك .

فقال بونار فى رفق : بل اظنك تفهمنى جيدا .. اننى اسالك من هى السيدة الاخرى التى اقترن اسمها باسمك فى هذه الفضيحة ؟

فنهض اورفيلد واقفا وهو يقول ببرود : لا توجد سيدة اخرى يا سيدى ويؤسفنى اننى اضعت الكثير من وقتك .

وقصد الى الباب فقال بونار : ذلك يؤسفنى ايضا .. ان قضيتك اثارت فضولى . وكان يهمنى ان ولكنى لا استطيع ان افعل شيئا ما لم اعرف الحقيقة بحذافيرها .

— لقد ذكرت لك الحقيقة . — كلا .

فدار اورفيلد على عقبيه وقال : لماذا تصر على الاعتقاد بان هناك امرأة اخرى ؟ !

— يا عزيزى .. اتحسب اننى اجهل عقلية النساء .. ان اللغط والشائعات فى المدن الصغيرة لا تتناول عادة غير الصلة بين الجنسين .. فاذا وضع الرجل السم لزوجته لكى يخلو له الجو فيقوم برحلة الى القطب الشمالى .. او لكى يستمتع بحرية العزاب .. فان ذلك لا يثير فضول احد .. انما يتهامس الناس ويروجون الشائعات عندما يعتقدون ان جريمة القتل ارتكبت لكى يتحرر الرجل من زوجته ويقترن بامرأة اخرى .

— اننى غير مسئول عما يدور فى خلد الوشاة الشامتين .

— طبعا .. طبعا انت غير مسئول .. ولذلك يحسن ان تعود الى مكانك وتجيبنى عن السؤال الذى القيته عليك .

فعاد اورفيلد ببطء حتى بلغ مقعده فتهالك عليه وقال :

— اظنهم كانوا يتقولون عن الآنسة سوزان مولكريف الممرضة التى تعاوننى فى عملى بالعيادة .

— متى التحقت بخدمتك ؟

— منذ ثلاثة اعوام .

— هل كانت زوجتك تحبها ؟

— لا .. لا اظن ذلك .

— هل كانت تغار منها ؟
— كانت غيرة حمقاء ليس لها ما يبررها .

فابتسم بونار وقال : ان غيرة الزوجة هي مضرب الأمثال . ولكن دعني أقول لك شيئا تعلمته من تجاربي الشخصية .. ان الغيرة مهما كانت حمقاء .. فانها تقوم دائما على أساس .. وهناك عبارة مشهورة يرددها الأمريكيون « **الزبون دائما على حق** » .. ومثل ذلك يصح أن يقال عن الزوجة او الزوج الغيور .. أليس صحيحا أن علاقتك بزوجتك قد فترت نوعا ما قبل وفاتها ؟ .

فصمت اورفيلد لحظة ثم قال : هذه المسألة تكاد تقتلني .. ولكن يجب ان ارجو .. وثمة شعور داخلي يهيب بي ان اضع رجائي فيك .. وانك قد تفيدني .. لذلك سأكون صريحا معك . فاصغ الي يا دكتور بونار .. الحق انني لم احب زوجتي .. كنت لها زوجا طيبا ولكنني لم احبها قط .

— وهذه الفتاة .. سوزان ؟
— لقد كنت أود الاقتران بها لولا هذه الفضيحة .
— فاعتدل بونار في مقعده وقال : الآن .. قد وصلنا الى بعض الحقائق .. حسنا يا عزيزي الدكتور .. سأعالج مشكلتك ولكن بشرط واحد .. هو ان ابحث عن الحقيقة اينما كانت .

فقال اورفيلد بمرارة : ان الحقيقة لن تضيرني .. وقد فكرت فعلا في مقاضاة مصدر هذه الشائعات .. وخطر لي ان اضع يدي على اي انسان فاقاضيه واثار بذلك لشرفي وسمعتي .. ولكني خشيت ان تتسع رقعة الفضيحة .. وأن يقول الناس — مهما كانت القضية — « **لا دخان بغير نار** » ! !

ونظر في عيني بونار بامعان وسأل : حدثني بصراحة

.. هل ثمة امل في التخلص من هذا الكابوس ؟
— سوف نرى .

وسافر بونار الى « بواسسو » ونزل في الحانة الصغيرة الوحيدة التي بالقرية .. وفي اليوم التالي لوصوله قابل سوزان مونكريف .

كانت فتاة طويلة القامة .. حمراء الشعر .. لها عينان زرقاوان .. ونظرات ثابتة نافذة .

قالت له : لقد حدثني الدكتور اورفيلد مرارا عن رغبته في الالتجاء اليك .
— وطبعا لم توافقيه ؟ !
فالتقت عيناها بعينيه وقالت في برود :
— وماذا في استطاعتك ان تفعل ؟
فأجاب في هدوء : قد يوجد مخرج من هذا الموقف .
— اي مخرج ؟ هل تفكر في الذهاب الى كل عجوز ثرثارة في هذه القرية لتقول لها « **اضرع اليك ان تكفي عن ترويج هذه الاشاعات فانها تسيء الى مركز الدكتور اورفيلد المسكين** ؟ » او فعلت .. لقالت لك كل منهن : « **حقا انني لم اصدق قط هذه الشائعة** » .
قال بونار :
— يخيل الي انك تعرفين جيدا ما يدور من احاديث .. ولكن ما الحل الذي تقترحينه انت ؟
— الرأي عندي ان يبيع عيادته .. ويرحل من هذا البلد .. ويفتتح عيادة اخرى في مكان آخر .
— الا تعتقدين ان الشائعات قد تتعقبه .. وتنطلق وراءه اينما ذهب ؟
فهزت كتفيها واجابت : يجب ان يجرب .
فصمت بونار لحظة ثم سأل :
— هل في نيتك الاقتران بالدكتور اورفيلد يا آنسة ؟

فلم يدهشها هذا السؤال واجابت : انه لم يطلب يدى .

ـ ولماذا ؟

فالتقت عيناها الزرقاوان بعينيه .. وارتجفت اهدابها وهى تجيبه :

ـ لاننى صددته .

ـ ما اجمل ان يجد الانسان مثل هذه الصراحة .

ـ ساكون صريحة الى أقصى حد .. عندما أدركت ان الناس يتهامسون بأن اورفيلد تخلص من زوجته ليقترن بى .. فكرت فى اننا اذا تزوجنا كان ذلك بمثابة اسدال الستار على جريمة يتوهم الناس وقوعها .. اما اذ لم نتزوج .. فان الشائعات مصيرها حتما ان تتلاشى .. ولكن ذلك لم يحدث لسوء الحظ .

ـ هل تريدين الاقتران بالدكتور اورفيلد ؟

ـ نعم .. اريد ذلك .. وقد وددت الاقتران به منذ وقع بصرى عليه .

ـ اذن قد سرك موت زوجته ؟

ـ كانت زوجته مخلوقة لا تطاق .. واصارحك اننى سررت لموتها .

ـ اصغى الى .. اننى اعتقد انه لا بد من عمل حاسم يقطع الشك باليقين فى هذه القضية . واقترح ان تقومى أنت ، او شخص آخر بالكتابة لادارة البوليس .

ـ ماذا تعنى بحق السماء ؟

ـ ان افضل طريقة لقطع السنة السوء بصفة نهائية هى تشريح جثة زوجة الدكتور لمعرفة اسباب موتها .

فقالت سوزان فى هدوء :

منذ "اننى لا اوافقك على هذا الراى .

ـ لماذا ؟ ! مما لاشك فيه أن تقرير الطبيب بان الوفاة كانت طبيعية ، مثل هذا التقرير من شأنه ان يضع الأمور فى نصابها، ويسكت جميع الالسنة .

ـ هذا صحيح .. بشرط ان تتضمن التقرير ان

ـ هذا صحيح .. بشرط ان تتضمن التقريران الوفاة كانت طبيعية .

ـ هل تدركين ما ينطوى عليه هذا الكلام يا آنسة ؟!

ـ اننى ادرك معنى كلامى جيدا . انت ترتاب فى ان تكون الوفاة قد حدثت بواسطة الزرنيخ .. ولكن هل غاب عنك ان هناك انواعا اخرى من السموم ؟ هناك القلويات النباتية مثلا .. ان آثارها لا تظهر فى جثة المتوفى بعد انقضاء عام على وفاته .

ـ من تظنينها اشد النساء ثرثرة فى هذه القرية ؟

ـ اعتقد ان الآنسة برتران هى اسوا الثرثارات جميعا .

ـ هل فى استطاعتك ان تقدمينى اليها بصفة عرضية .. بحيث لا تشعر بان الامر مدبر ؟

ـ ليس أيسر من ذلك . ان جميع العوانس يتسوقن صباحا ويلتقين فى الحوانيت لتبادل الشائعات والانباء .. وكل ما علينا عمله هو ان نسير معا فى الشارع الرئيسى فنلتقى بها .

وسارا معا فى الشارع الرئيسى حتى اشرفا على مكتب البريد .. وهناك التقت سوزان بامراة طويلة القامة فى متوسط العمر .. لها انف طويل وعينان حادتان .. فبادرتها بقولها :

ـ طاب صباحك يا آنسة برتران .

ـ دعينى أقدم لك الدكتور بونار .. الذى يقضى فى القرية بضعة أيام التماسا للراحة .

وتناول بونار قدح الشاى .. وراح يرقب محدثته من ركن عينه .

كانت الآنسة برتران قد اطمأنت اليه .. ودعته لتناول الشاى فى بيتها ، وكان كل همها ان تعرف ـ بما طبعت عليه من فضول ـ الاسباب الحقيقية لحضوره الى القرية .

وقد ظل وقتا طويلا يتجنب هجماتها .. ويتملص من الاجابة على اسئلتها المتهافتة حتى بلغ فضولها غايته .. وحينئذ انحنى الى الامام وقال لها بلهجة من يبوح بالسر :

ـ الحق انك ابرع منى يا آنسة برتران .. لقد عرفت كيف تكتشفين اسرارى .. الواقع اننى هنا منتدب من ادارة البوليس .. ولكنى ارجوك ان تكتمى هذا السر .

ـ طبعا .. طبعا .. تقول انك منتدب من ادارة البوليس .. هل تعنى من أجل موضوع مدام أورفيلد المسكينة ؟

فاطرق بونار برأسه علامة الايجاب ، وتنفست الآنسة برتران الصعداء .. وظهرت على وجهها علامات الجذل والسرور .

قال : ان الموضوع دقيق للغاية ، وانا مكلف بالبحث عما اذا كان من الضرورى استخراج الجثة وتشريحها .

فهتفت : تخرجون الجثة من قبرها .. هذا مخيف .

ولو انها قالت **ما ابدع هذا** .. لكان قولها اكثر ملاءمة لصوتها ولهجتها .

سألها : ما رأيك انت يا آنسة برتران ؟

ـ الواقع يا دكتور بونار ان الناس يتكلمون كثيرا .. ولكنى لم اقم قط وزنا لما يقال .. ومما لا شك فيه أن طباع الدكتور أورفيلد تغيرت كثيرا

منذ الحادث .. ولكن ليس معنى ذلك ان الرجل يشعر بوخز الضمير ، فقد يكون السبب هو الخوف .. وليس معنى ذلك ان العلاقات بينه وبين زوجته كانت على ما يرام ، فهذا شيء أعرفه شخصيا .. وقد اكدته الممرضة هاريسون التى لازمت الزوجة طيلة الايام الثلاثة او الاربعة التى سبقت وفاتها .

وقد كنت دائما احس بان الممرضة هاريسون ترتاب فى الأمر .. انها لم تتحدث عن ريبتها .. ولكن الانسان يستطيع دائما ان يستنتج من نظرات الشخص وتقاطيع وجهه ما لا يفصح عنه لسانه .

ـ كل هذه ملاحظات شخصية عابرة لا تصلح حافزا لتشريح الجثة .

ـ اعلم ذلك يا دكتور بونار .. ولكن لا تنس ان عملية التشريح هى وحدها التى تقطع الشك باليقين .

ـ هذا صحيح .

فاستطردت المراة وعيناها تتألقان حماسة وجذلا :

ـ لقد قرات فى الكتب والصحف عن جرائم كثيرة من هذا النوع .. رجل يقتل زوجته لكى يقترن بسكرتيرته ، او خادمته ، أو معلمة اولاده .. ولكنى لا أظن سوزان مولتريف من السوء الى هذا الحد .. انها فتاة ظريفة ، ولا يمكن ان تكون قد اوحت اليه بشيء .. ولكن العلاقة بينهما كانت وثيقة جدا .

فنظر اليها بونار فى بساطة وسذاجة .

استطردت : ان التشريح سيميط اللثام عن الحقيقة .. **أليس كذلك ؟** .. ثم ان الخدم دائما يعرفون اشياء كثيرة عن مخدوميهم .. اليك مثلا الخادمة بياتريس : لقد طردت من خدمة الدكتور اورفيلد عقب الحادث مباشرة ، وكان طردها مدعاة للأقاويل .. وظن الناس أن الدكتور قد طردها حتى لا تعرف

شيئا .. ان اوصالى لترتجف كلما فكرت فى الضجة التى ســـوف تثيرها الصحف حول قريتنا الهادئة الوادعة .

فتنهد بونار وقال : ومع ذلك فان الامر قد لا يعدو ان يكون مجرد شائعات لا اصل لها .

ـ لا أظن ذلك .. الواقع اننى أعتقد ان ما يقال صحيح لا شك فيه .. وهناك المثـــــل « لا دخان بغير نار » .

ـ هل لى ان اطمئن الى صمتك وكتمـــانك السر يا آنسة !

ـ طبعا .. لن اقول كلمة واحدة لـكائن من كان .

* * *

وودعها وانصرف .. وقال للخـادمة التى ناولته قبعته عند الباب :

ـ اننى هنا للتحقيق فى ظروف حادث وفاة مدام اورفيلد ، ولـكنى اكون شاكرا اذا كتمت هذا السر .

ـ اوه يا سيدى .. اذن فقد قتلها زوجها الدكتور !

ـ هذا ما كنت تعتقدينه منذ مدة طويلة .. اليس كذلك ؟

ـ لست انا يا سيدى ، وانما هى بياتريس التى كانت تعمل فى بيت الطبيب حين ماتت زوجته .

ـ كانت تعتقد ان فى الامر جريمة ؟

ـ نعم يا سيدى .. نعم .. وقالت ان ذلك هو ايضا ما تعتقده جلاديس هاريسون الممرضـــة التى لازمت زوجة الدكتور طيلة مرضها منـذ ثلاثة اعوام الى ان توفيت .. كانت جلاديس تحب مدام اورفيلد وقد حزنت كثيرا لوفاتهـــا .. وتقول بياتريس ان الممرضة لابد تعرف شيئا وتكتمه ، لانها صـــارت بعد ذلك تحقد على الدكتور .. وهى لا يمكن ان تفعل

ذلك ما لم يكن فى الامر شىء .

ـ واين تقيم جلاديس هاريسون فى الوقت الحاضر ؟

ـ انها تعمل الآن عند السيدة ويستو العجوز ، التى تقيم فى آخر القرية .. فى ذلك البيت القـائم على اعمدة بيضاء .

* * *

وبعد نصف ساعة كان بونار جالسا يتحدث الى جلاديس هاريسون الممرضـــة .. وهى امرأة جميلة الطلعة ، حالمة العينين ، تناهز الاربعين من عمرها .. وقد اصغت اليه بانتباه .. ثم قالت ببطء :

ـ نعم اعلم أن هناك شائعات كثيرة .. وقد حاولت ان اضع حدا لها ، ولـكن بغير جدوى .

ـ ولـكن لابد ان هناك شيئا اثار هذه الشائعات !!

فظهرت على وجهها دلائل الحزن العميق .. وهزت راسها الجميل ولم تجب .

قال بونار : ربما لم يكن الدكتور أورفيلد على وفاق مع زوجته .. ولهذا كثرت الاقاويل ؟!

فهزت الممرضـــة راسها واجابت : كلا .. كلا .. لقد كان الدكتور يعامل زوجتـــــه برفق وعطف وسعة صدر .

ـ هل كان يحبها ؟

ـ كلا .. لا اظن ذلك .. لقد كانت زوجته سيئة الخلق ، ضيقة الصدر .. تطالب من العناية والاهتمام باكثر مما تقتضيه حالتها .

ـ هل كانت تبالغ فى تقدير خطورة مرضها ؟

فاطرقت الممرضة براسها واجابت :

ـ نعم .. كانت اوهامهـــا تؤثر كثيرا فى حالتها النفسية .

ـ ومع ذلك فانها ماتت بسبب المرض .

— نعم .. اعلم ذلك .

ولاحظ اضطرابها وحيرتها .. فقال : يخيل الى انك تعرفين مصدر هذه الشائعات :

فاحمر وجه الممرضة .. وقالت : ربما كان مصدرها الخادمة بياتريس .. واظن انني اعرف السبب ، فقد حدث انني سمعت جانبا من مناقشة دارت بين الدكتور اورفيلد والآنسة سوزان مونكريف .. ومن المحقق أن بياتريس سمعت هذه المناقشة ايضا ، وان لم تقرر ذلك .

وصمتت الممرضة بعض الوقت — كأنما لتستجمع ذكرياتها — ثم قالت :

— كان ذلك منذ ثلاثة اسابيع قبل النوبة الاخيرة التي قضت على مدام اورفيلد .. وكان الدكتور وسوزان في غرفة الطعام .. وكنت في طريقي الى البهو فسمعت سوزان تقول : « الى متى يستمر هذا ؟ لم يعد في مقدوري الانتظار اكثر مما انتظرت » .. فأجابها الدكتور : « سوف لا يطول انتظارك ايتها العزيزة .. أقسم لك » .. فسألته : « هل تعتقد ان كل شيء سيتم على ما يرام ؟ » .. فأجابها : « طبعا .. كل شيء سيكون على ما يرام .. وسوف نتزوج في مثل هذا الوقت من العام المقبل » .

هذا هو الحديث الذي سمعته يا دكتور بونار .. كنت اعلم ان الدكتور يعجب بسوزان .. ولكن هذا الحديث كان اول اشارة الى وجود صلة بينهما .

اذهلني ما سمعت .. ولكنني لاحظت — رغم ذهولي — ان باب المطبخ مفتوح .. فأيقنت على الفور ان بياتريس كانت تتنصت ، وانها سمعت ما سمعته .

وهذا الحديث — كما ترى يا دكتور بونار — يمكن تأويله على وجهين ، فهو قد يعني أن الدكتور اورفيلد

يدرك ان زوجته مريضة جدا ولن تعيش طويلا (ولا شك عندي انه كان يقصد الى هذا) ، كما انه قد يعني — سيما بالنسبة الى فتاة مثل بياتريس — شيئا اخطر من ذلك .. هو أن الدكتور اورفيلد وسوزان يدبران امرا للتخلص من الزوجة .

— ولكنك انت نفسك لا تظنين ذلك ؟

— كلا .. طبعا .

فحدجها بونار بنظرة حادة .. ثم قال في هدوء :

— هل ثمة شيء آخر تعرفينه ولم تذكريه ؟

— كلا .. اي شيء آخر ؟

— لا اعلم .. ولكن قد يكون هناك شيء .

فهزت رأسها سلبا .. وقال بونار : يحتمل ان تأمر ادارة البوليس باخراج جثة زوجة الدكتور اورفيلد وتشريحها .

— ماذا تقول ؟! .. هذا مخيف .. سوف تكون صدمة قاسية للدكتور .

— الا تعتقدين ان ذلك خير له ؟

— ماذا تعني ؟

— اذا كان بريئا .

وهز كتفه .. ولم يكمل عبارته ، وترك لعقل الممرضة فرصة لقبول الفكرة وهضمها .. ولاحظ ان وجهها اكفهر لحظة ، ثم لم يلبث ان انبسطت اساريره .

قالت : لم افكر في الامر من هذه الوجهة .. نعم ان من الخير له ان يحدث ذلك .. ان تشريح الجثة هو الشيء الوحيد الذي يضع الامور في نصابها ، ويقطع السبيل على مروجي الشائعات .

وقصد بونار الى مكتب البريد ، حيث اتصل تليفونيا بصديقه المفتش بيشو .

ولما فرغ من حديثه .. سأل موظف المكتب عن مقر اقامة الخادمة بياتريس ، التى كانت تعمل وصيفة فى بيت الدكتور اورفيلد .. فارشده الموظف اليه .

* * *

وقابل بونار الوصيفة .. ووجدها فتاة قصيرة القامة ، تنم تقاطيع وجهها على الغباء .. ولكن عينيها تنمان عن الدهاء والخبث .

ولم يستطع بونار ان يعرف منها شيئا يذكر .

كانت تحول وتكرر القول : لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع .. وما حدث بعيدا عن المطبخ لم يكن من شأنى .. ولست ادرى شيئا من الحديث الذى تزعم انى سمعته يدور بين الدكتور وسوزان مونكريف .. انا لا استرق السمع عند الابواب .

ـ هل سمعت عن التسمم بالزرنيخ ؟

وهنا ـ ولاول مرة ـ تألق وجهها .. فهتفت :

ـ اذن تلك الزجاجة كانت تحوى زرنيخا ؟!

ـ اية زجاجة ؟!

ـ زجاجة دواء اعدتها سوزان مونكريف لسيدتى .. وقد اضطربت جلاديس حين ابصرت بالزجاجة .. فتذوقت محتوياتها ، ودنتها من انفها .. واخيرا افرغت محتوياتها فى البالوعة وملأت الزجاجة بالماء القراح .. وحدث مرة اخرى ان حملت سوزان الى سيدتى قدحا من الشاى ، فافرغته المرضة فى البالوعة وصنعت قدحا اخر .

ـ كيف كانت الصلة بينك وبين سوزان مونكريف .

ـ عادية .. وطبعا كنت اعلم انها تحب الدكتور .

* * *

وحمل قطار المساء الى القرية كلا من بيشو مفتش البوليس ، والدكتور جارسيا الطبيب الشرعى

.. وقد قصدا لتوهما الى الحانة حيث التقيا بالدكتور بونار .. ودار بين الرجال الثلاثة حديث طويل استغرق ساعتين .

* * *

وكان استخراج جثة مدام اورفيلد وتشريحها حديث الجميع فى قرية بواسو .. وخيل الى الدكتور بونار ان اهل القرية جميعا لن يغمض لهم جفن ولن تستقر السنتهم فى اشداقهم قبل ان يعرفوا نتيجة التشريح .

* * *

وفى صبيحة اليوم الثالث .. بينما كان بونار يتناول طعام الافطار مع الدكتور جارسيا فى حانة القرية ، اذ اقبلت جلاديس هاريسون وهى شاحبة الوجه زائغة العينين .. فسألت بونار فى لهفة : احقا ما سمعته يا دكتور بونار ؟

فقدم اليها بونار مقعدا .. وقال : نعم .. لقد وجد فى الجثة من الزرنيخ اكثر مما يكفى لاحداث الوفاة .

فهتفت والدموع تنهمر من عينيها : لم يخطر ببالى قط ان ...

فقاطعها بونار فى رفق : كان لابد من ظهور الحقيقة على اية حال .

ـ هل سيشنقونه ؟

ـ لدينا امر بالقبض عليه .. ولكن ينبغى قبل كل شىء ان نجلو كثيرا من الامور ، اولها كيف حصل الدكتور على السم ؟!

ـ ولكن .. حسبت انه لا يد له فى الموضوع .

ـ فى هذه الحالة يجب ان يبرأ .

فقالت فى بطء : توجد اشياء كان ينبغى ان اذكرها

لك من قبل .. ولكنى لم افطن لاهميتها .

– نعم .. نعم .. تكلمى .

– لقد حدث ذات يوم أننى دخلت غرفة العيادة ، فوجدت سوزان موتكريف تفعل شيئا عجيبا .

– ما هو ؟!

– رايتها ممسكة بعلبة المساحيق (البودرة) .. وهى علبة جميلة وردية اللون ، وقد شرعت تملاها بمسحوق ابيض من زجاجة اخذتها من الدولاب الذى تحفظ فيها العقاقير السامة .. ولما احست بدخولى ظهر عليها الاضطراب ، واسرعت الى العلبة فوضعتها فى حقيبتها ، والى الزجاجة فاعادتها الى دولاب العقاقير .. لم اقم وزنا لهذا الحادث فى ذلك اليوم .. اما الآن .. بعد أن ..

وكفت عن الكلام .. فقد دخل بيشو فى هذه اللحظة وحيا الرجلين والممرضة ، وقدم الى بونار شيئا ملفوفا بمنديل من الحرير .. فتناول بونار ذلك الشيء ، وبسط المنديل ، واخرج منه علبة جميلة وردية اللون من النوع الذى تضع فيه السيدات المساحيق .

ولم تكد الممرضة ترى العلبة حتى هتفت :

– نعم .. هذه هى العلبة التى رايتها .

وفتح بونار العلبة .. فقال بيشو : ان بها مادة بيضاء ليست (بودرة) .. وقد تذوقتها فلم أعرف لها طعما .

فقال بونار : ان الزرنيخ الابيض لا طعم له .

فقال الدكتور جارسيا : يجب تحليل هذه المادة على اى حال .. هل تقسمين على ان هذه هى العلبة التى رايتها ؟!

– نعم .. أقسم على ان هذه هى ذات العلبة التى

رايتها فى يد الآنسة سوزان موتكريف قبل وفاة زوجة الدكتور باسبوع .

فتنهد بيشو .. ونظر الى بونار واطرق براسه .. فقال هذا الاخير محدثا الممرضة : قلت بلهجة التوكيد انك رايت هذه العلبة فى يد الآنسة سوزان موتكريف منذ عام .. فهل يدهشك ان تعلمى ان هذه العلبة بالذات قد باعها محل (بارونى) منذ اسبوع واحد ، وان هذا الطراز من العلب لم يبتكر ولم يطرح للتداول فى السوق الا منذ ثلاثة شهور

فذهلت الممرضة .. ولم تحر جوابا .

قال بونار محدثا بيشو : هل لك أن تذكر لى كيف عثرت على هذه العلبة يا مسيو بيشو ؟

فقال بيشو : انك طلبت الى ان اتعقب هذه السيدة اينما ذهبت .. فرايتها تستقل احدى المركبات الى مدينة (دارينجتون) القريبة ، حيث ابتاعت هذه العلبة .. وفى المساء ذهبت الى بيت الآنسة سوزان موتكريف .. وكنت قد سبقتها الى هناك بناء على تعليماتك .. فرايتها تتسلل الى مخدع الآنسة وتضع العلبة فى درج دولابها ، ولم يخطر ببالها انى أرى كل حركة من حركاتها من خلال ثقب المفتاح .. ثم انصرفت عقب ذلك دون أن يشعر بها احد ، لان الناس فى هذه القرية الصغيرة لا يوصدون ابوابهم .

وصمت بيشو .. فنظر بونار الى الممرضة وقال بلهجة قاسية : هل تستطيعين تفسير هذه الحقائق يا سيدتى ؟ .. ان هذه العلبة كانت خالية من الزرنيخ عندما ابتعتها من (دارينجتون) .. وقد كان من الخطا ان تحتفظى فى غرفتك بكمية كبيرة من الزرنيخ .

وهنا دفنت الممرضة وجهها بين كفيها .. وهتفت بصوت اشبه بانين حيوان جريح : نعم .. انى قتلتها

وبغير فائدة على الاطلاق .. كنت مجنونة .

* * *

قالت سوزان مونكريف تحدث بونار : معذرة يا دكتور بونار ، فقد غضبت منك اشد الغضب حين لاحظت ان القرية امتلات عقب حضورك بموجة جديدة قوية من الشائعات .. تدور كلها حول اتهام أورفيلد بقتل زوجته ، ورغبة البوليس فى تشريح جثتها .. لقد خيل الى انك زدت الأمر سوءا وتعقيدا .

فأجاب بونار : كان لابد لى ان أبدا هذه البداية لاصل الى **رأس الأفعى** .. وقد كان اول سؤال القيته على نفسى هو : من ذا الذى كان البادىء باطلاق هذه الشائعات ؟

وادركت بعد قليل ، وبغير جهد ، انها جلاديس هاريسون .. فذهبت لمقابلتها ، وخيل الى أنها امرأة وادعة ذكية طيبة القلب .. ولكنها ارتكبت غلطة كبرى حين ذكرت لى الحديث الذى زعمت انها سمعته يدور بينك وبين أورفيلد .. كان حديثا مفتعلا بطبيعة الحال ، لانه لا ينطبق من الناحية السيكولوجية على ما لاحظته من طباعك وطباع الدكتور اورفيلد ، يضاف الى ذلك أن الكلام الذى اسندته اليك ، وزعمت انك قلته ، لا يتلاءم مع عقليتك وتفكيرك .. انه كلام لا يصدر الا عن امرأة اكبر منك سنا ، ومن طراز تختلف كل الاختلاف عن طرازك .. انه كلام تخيلته جلاديس هاريسون .. كلام كان يصدر عنك هى شخصيا فى مثل ذلك الموقف .. وكان الموضوع فى نظرى حتى تلك اللحظة بسيطا غاية البساطة .. ولكنى لم البث ان لاحظت ان جلاديس لا تزال تتمتع بقسط من الجمال

والفتنة ، وانها مكثت فى بيت الدكتور ما يقرب من ثلاثة اعوام .. وكان الدكتور يشعر نحوها بالشكر والتقدير وعرفان الجميل لما تبدى لزوجته من عناية ورعاية ، ولما تتسم به تصرفاتها من لباقة وكياسة .. ولعلها تخيلت ، ازاء ذلك كله ، أن زوجة الدكتور اذا توفيت فانه قد يقترن بها هى .. ولكن حدث بعد وفاة الزوجة انها لاحظت أن الدكتور يحبك انت ، فجن جنونها بدافع الغيظ والغيرة وخيبة الأمل .. وراحت تطلق الشائعات بأن الطبيب سمم زوجته ، ذلك ما كنت اتخيله حتى قابلتها .. ولكن المثل القائل « **لا دخان بلا نار** » جعلنى اتجه بتفكيرى وجهة اخرى .. فخطر لى أن الدور الذى قامت به جلاديس هاريسون ربما كان اخطر من مجرد اطلاق الشائعات .. ولفت نظرى بعض اشياء ، منها قولها ان مرض الزوجة كان وهما اكثر منه حقيقة ، وان المها كان بسيطا .. بينما ان الدكتور واثقا من ان مرض زوجته كان شديدا وآلامها لا تطاق ، وهو نفسه لم يدهش لوفاتها .. وقد استدعى طبيبا آخر قبيل موتها ، واستوثق من خطورة حالتها .. وعندما فاتحتها بفكرة تشريح الجثة ، اضطربت اولا ، ثم غلبها الحقد والغيرة .. وفكرت فى ان الفرصة قد سنحت للانتقام منك ومن الدكتور .. وبقى لى امل واحد ، هو أن تمضى جلاديس فى نقمتها عليك فتتورط فى غلطة تكشف امرها .. وتحقق املى ، فقد فكرت جلاديس فى الأمر ، وخطر لها ان التهمة قد تلصق بالدكتور وحده ، وانك قد تفلتين من العقاب .. فماذا تصنع ؟ .. وخيل الى انها سوف تعصر قريحتها فى البحث عن وسيلة لادانتك .. ولذلك

اوعزت الى بيشو ان يرقب حركاتها ، ولم تكن قد رأته او عرفتـــه .. فاستطاع أن يراقبها دون ان تفطن اليه .

فهتفت سوزان : ما أبرعك !!

وقال الدكتـــور اورفيلد : الحق انني عاجز عن شكرك يا دكتور بونار .. يا الهي .. لقد كنت اعمى .

ـ وهل كنت عمياء انت كذلك يا آنسة ؟

فاجابت سوزان : انني كنت في اشد حالات الهم والقلق ، فقد لاحظت أن كمية الزرنيخ في الدولاب تنقص باستمرار .

فصاح اورفليد معاتبا : سوزان .. لا شـك انه لم يخطر ببالك انني الذي ...

فقاطعته : كلا .. لم افكر في ذلك لحظة واحدة .. وانما الذي خطر لي هو ان زوجتك ربما كانت تأخذ مفتاح الدولاب من جيبك وتختلس كميات صغيرة من الزرنيخ وتتناولها لـكي تسوء حالتها ، فتثير شفقتك عليها واهتمامك بها .. وقد كان يخيفني من التشريح ان يوجد اثر الزرنيخ في الجثة ، فلا يتجه التفكير هذا الاتجاه ، وانما يسارع القوم الى اتهامك .. ولهـذا لم اذكر لك كلمة واحدة عن نقص الزرنيخ ، بل انني فعلت أكثر من ذلك .. سجلت في دفتر السـموم ارقاما غير صحيحة تتناسب مع الـكمية الباقيـة في الدولاب .. ولـكنني لم اشـك قط في جلاديس هاريسون .

« تمت »

مطابع البلاغ بالقاهرة
٢٦ شارع منصور ـ تليفون ٢٢٩٣٦